الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
احمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ سعد عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ١٩٠٧ ـ الخميس ١٩ رمضان سنة ١٣٨٤ هـ ٢١ يناير سنة ١٩٦٥ م ـ السنة الثانية والعشرون

من روائح فردوسنا المفقود

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان آخر من ودعت فى القاهرة العالم الجليل الاستاذ احمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر ، وكان اول من لقيت فى برشلونة القسيس الحر الأب انخيل جومز راعى كنيسة سرقسطة . وكان بين وداع الاول ولقاء الآخر رحلة طويلة تحت النجوم وفوق الغيوم ابتدأت على طائرة مصرية سبحت بنا من سمائنا العربية الضاحية الى سماء روما المضبة فى ثلاث ساعات وبعض الساعة ، ثم انتهت على طائرة ايطالية ساحلت بنا فوق البحر الابيض الى نيس ثم الى برشلونة فى ساعتين

كان بينى وبين الامام العربى حديث ، ثم كان بينى وبين الحبر الاسبانى حديث ولم يكن هذان الحديثان وحدهما هما اللذين جمعا بينهما فى ذهنى ، وانما كان الجامع مشابه كثيرة من قسامة الوجه واستواء القامة وحلاوة النغمة وبراعة الذهن ولطافة الحس وطلاقة الفكر وخصوصية الزى وخلوص العقل من شوائب التقليد ورواسب الماضى وخوادع الرأى .

كان آخر ما بقى فى سمعى من حديث الباقورى روايته عن أحد المفسرين الظرفاء فى تفسير قول الله تعالى حكاية عن سليمان : « وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد ام كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين » اذ فسر العذاب الشديد الذى توعد به سليمان الهدهد بأن ينتف ريشه ويهاض جناحه ثم يترك بين جماعة من الطير ، لا هى من أهله ولا هى من شكله ، حتى اذا نفرته لا يجد الريش الذى يقى ، ولا الجناح الذى يدفع ، ولا المنطق الذى يبين . وكانت حالى وأنا بين المرضى فى بهو الانتظار من عيادة الدكتور براكير التى تضم ثلاثين طبيبا وعشرين طبيبة ومائتى ممرضة غير الموظفين والخدم ، أشبه بحال ذلك الهدهد لو ان سليمان أنجز فيه هذا الوعيد : كنت أجلس فى قوم من أشتات الناس والأجناس لا يتكلمون غير الأسبانية أو ما يشبهها ، فاذا تحدثوا لا أفهم واذا حيوا لا أرد . نعم انهم لم ينفرونى كما تنفر جماعة الطير الغريب عنها ، فان الانسان من الأنس والوحش من الوحشة ولكنهم صدوا بوجوههم عنى صدود الدمية عن الدمية فى المتحف العظيم . وكان من توفيق الله أن جلس الى جانبى ذلك القسيس الكريم ففطن الى أننى لا أعرف الاسبانية ، فقلب على أذنى بعض اللغات حتى قال بالفرنسية : لعلك من الجزائر . فقلت له : أنا عربى من مصر . فهش بى وأهل ثم قال فى ابتسامة رقيقة :

نحن اذن اخـوة · أنا من مواليـد طليطلة ، ولا يزال بين اسرتي وبين العرب نسب شابك · وان أسرتي تعرف الى اليوم بأسرة (المولى) وهي لا تزال تعتز بهذا النسب وتحتفظ بهذا اللقب · فقلت له وانا اطالع في محياه سحنة الباقوري وسمرته : لشد ما يسعدني أن يكون أول من القى في برشلونة رجل تنزع نفسـه ونفسي الى عرق واحد · ثم أفضنا في حديث العرب وما خلفوا في الأندلس من آثار ، وفي حـديث الاسلام وما نقل الى الفرنج من ثقافة ·

وجاء دور القس فدعته ممرضة الى الطبيب · فقام وهو يربت بكفه اليسرى على كتفي ويقول : سأرجع · ثم عاد فاستأنفنا الحديث الشائق العذب وشققناه الى معاني شتى ، وكان بين دوره ودوري وقت طويل فسألته : الا يزال رجال الكنيسة يعتقدون في العرب والاسلام ما كان يعتقده أسلافهم من قبل ؟ فأجاب في غير مداراة ولا مماراة : لقد درس المؤرخون المنصفون والعلماء المخلصون مآثر العرب ومبادىء الاسـلام على المنهج الواضح والمنطق الصحيح والنية الحسنة ، فوجدوا أن خمسة عشر مليونا من المسلمين عمروا أسبانيا ثمانية قرون ومعهم الدين والأدب والفن والعلم والحضـارة والعمارة ، قد نقلوها من الظلام الى النور ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن الهمجية الى المدنية ، حتى أصبحت في عهد الناصر والمستنصر مهوى الأفئدة ومنتجع العقول وملتقى الشرق والغرب ومجتمع القيادة الروحية والمادية في أوربا والعالم كله · ثم أدركوا أن ما أعمى المستكبرين عن رؤية النور انما هو الجهل والتعصب ، فان الأمر يومئذ كان للكنيسة في سياسة الدين والدنيا · ولم تر الكنيسة في فتح العرب للأندلس الا استبدال دين بدين وشعبا بشعب ولغة بلغة وسلطانا بسلطان ، فحاربت الاسلام بالشبه والأضاليل ، وحاربوا العرب بالخيانة والتفرقة ، ولو علموا كما يعلمون اليوم أن الاسلام طريق سماوي يؤدي الى الله ، وأن المسلمين اخوة مؤمنة تتعاون على الخير ، لنعمت أسبانيا في ظل التعايش السلمي بالنعيم الدائم والوحدة الشاملة ·

أنا أعلم عن يقين أن الله نقطة في مركز الكون يوصل اليها طرق كثيرة مختلفة البدء متفقة النهاية · والاعتقاد بأن طريقا بعينه من هذه الطرق هو وحده الذي يؤدي ، كان مصـدر الشر على الناس جميعا · كل الطرق تؤدي الى روما كما يقـول المثل ؛ وما دام الطريق واضحا مستقيما تبينه حدود الله وتهدي اليه أعلام الحق فهو لا محالة واصل · ولا يضير سالكه أن يكون هناك طرق أخرى لكل منها اسم ورسم · وأنا بهذا الاعتقاد أخدم الكنيسة التي أرعاها ، باعتبارها أحد هذه الطرق ، لا هي أكملها ولا هي أمثلها · والاسلام الذي نقل البداة الجفاة من رعاة ابل وغنم ، الى رعاة دول وأمم ، وحول أسبانيا الممزقة المستضعفة الجاهلة من عهد الفوضى والانحلال الى عهد الناصر وابن رشد ، لا يمكن أن يكون هو الاسلام الذي زعم الجاهلون أنه قام على السيف وحكم بالتعصب وساد بالاستعمار ، وأن ما خلف في الأندلس من الحضارة والعمارة والثقافة لدليل ناهض على سمو مبادئه وبلوغ وسائله وعـدالة حكمه · وان الرأي الكنسي ليميل اليوم الى التوفيق بين المذاهب المسيحية المختلفة ، ولعله يميل بعد ذلك الى التقريب بين الأديان جميعا ·

فقلت له وأنا أنظر في عجب الى المسح الذي يلتف على بدنه ، والى الصليب الذي يتدلى من عنقه : أيوافقك اخوان الكنيسة على هذا الفهم ؟ فقال وهو يهز رأسه : لا أزعم ذلك · ولكل رأيه · وكان دوري في الدخول على الطبيب قد حان فودعته وفي نفسي ونفسه أن نتلاقى كلما واتت الفرصة ·

لبثت فى برشلونة عاصمة أسبانيا بعد مدريد تسعين يوما معصوب العينين مرفوع الجنبين أسمع ولا أرى ، وأحس ولا ألمس ، وأتخيل ولا أتمثل • فاذا سألتنى عما رأيت من آثار فردوسنا المفقود قلت لك لم أر الا بعض المعالم من قطلونية فى أواخر أيام العلاج بعد أن كشف عنى الغطاء ، وخرجت من محبسى أبى العلاء ، فجلت فى شوارع برشلونة الشجر ، (بضم الشين) ووقفت فى ميادينها الفسيح ، وجلست فى حدائقها الغن ، وركبت الطريق الصاعد من ساحل البحر الأبيض الى ربوة (تبيدابو) وهى قطعة من الروض سقطت من الجنة واستقرت على جبال (مالاس) و (مونت جويك) وشقت بينهما وادى (بيزوس) وهو متنزه الناس فى أيام الآحاد والأعياد والمواسم • وفيما بين ذلك كنت أرسل طرف العبران فى الأفق الضاحى فأرى الشمس التى أشرقت على قومى زهاء تسعين سنة منذ فتح برشلونة موسى بن نصير سنة ٧١٣ م الى أن استردها لويس بن شرلمان سنة ٨٠١ م واستنشق الهواء الذى استنشقه أجدادى الفاتحون المعمرون المحضرون فملأوا به رئاتهم ثمانية قرون ، ثم نفثوه فى أقطار أسبانيا والبرتغال وفرنسا دينا وأدبا وعلما وحكما وعمارة وحضارة ، ولكنى وا أسفاه لا أرى الأعلام البيض التى تخفق ، ولا المآذن الشم التى تنادى • ثم أرد طرفى الى الأرض فأرى الشمائل العربية ولا أرى العرب ، وأجد الخلائق الاسلامية ولا أجد الاسلام ، وتتراءى فى خيالى أطياف الأمويين والمرابطين والموحدين هائمة فى الضباب تنوح على ملك دال وحكم زال ومجد ذهب • وما أدال هذا الملك وأزال هذا الحكم وأذهب هذا المجد الا ما أصابهم من تفرق الكلمة وتعارض الهوى ، وتخاذل القوى وتحاسد الأنداد وممالأة العدو • وتلك هى أدواء زعماء العرب فى كل حين ، من يوم السقيفة الى يوم فلسطين !

***

لم أر اذن فراديس الأندلس ، ولكنى شممت عبيرها ، ووجدت رياها فى ثلاث أوانس من حسان الجنوب كن يمرضننى : أولاهن من طليطلة وتسمى سلطانة ، وثانيتهن من قرطبة وتسمى فضيلة (فاديلا) ، وثالثتهن من بلنسية وتسمى الثريا (السريه) (بسكون اللام وضم السين) ، وكان هؤلاء الأوانس الممرضات قد علمن أنى عربى من مصر فكن يتسابقن الى خدمتى ، ويتعاقبن على غرفتى ، ويبتغين الوسائل الى الوقوف طويلا بجانب سريرى يحدثننى عن أرومتهن العربية ، وما بقى منها فى دمائهن من الحنين الى العرب والنزوع الى الشرق • فاذا حدثتهن عن الاسلام ـ وقد كان دين أجدادهن ـ غمغمن بالكلام المغلق ، أو أبن عن الجهل المطلق !

ونشأت بينى وبين الأوانس الجميلات على طول الأيام ودادة قلب أو صداقة نفس ، تقول انها مواصلة القريب أو مؤانسة الغريب أو مخالصة الحب • فكن يطمئننى على سير العلاج ، ويصبرننى على احتمال العيش فى الظلام ، وطول النوم على الظهر ، وضيق النفس من الأرق ، ويشعرننى بأنسهن المرح وحديثهن العذب أنى فى بيتى وبين أهلى ، ويفضين الى بأخبار المستشفى وبخاصة أخبار العرب النازلين به • وكان حديثهن عن العرب قصيدا من المدح على ما يظهرون لهن من عطف ، وما يفضلون عليهن من كرم • الا حديثهن عن عربى كبير كان يعمل فى ديوان ملك سابق ، فقد قلن انه دخل المستشفى وعلى كتفه منصبه لم يحطه عنه ، فهو يأمر وينهى وهو فى غير ديوانه ، ويعامل الممرضات والسعاة معاملته لجواريه وغلمانه ، ولا يكاد الجرس المضىء ينطفىء من فوق بابه ، فاذا طلبوه الى الطبيب فى أسفل الدار أصر على أن يصعد الطبيب اليه • واذا أخبروه أن ذلك محال نزل فى بيجامته من غير رداء ، وصمم على

أن يدخل قبل دوره من غير نداء • أما معاركه على الطعام فى كمه وكيفه فهى حديث الجيران والخدم • وهو مع هذه العنجهية كلها كز الأنامل سليط اللسان ، لا تسقط (البيزيتة) (١) الهينة من كفه ، ولا تخرج الكلمة اللينة من فيه !

زارنى حين علم من الممرضات أنى فى المستشفى لأن من خير ما فيه أنه يقرأ الرسالة ، فمكث طويلا لا يدير بين فكيه الا كلاما ثقيل اللهجة خطل المنطق عن معاونة مصر لليمن • ومعاذ الله أن اغثى نفسك بسماعه وأنت صائم !

***

هذا لقاء القسيس وحديث الأوانس • وحديث الأوانس يتصل ولا ينقطع ، وينشط ولا يفتر • ويطول ولا يمل • ولقد ذكرت بصحبتهن ومودتهن أوانس الرشيد الثلاث : ضياء وسحر وخنث • وهن اللاتى انطقنه بهذه الأبيات :

ملك الثلاث الآنسات عنانى ... وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها ... واطيعهن وهن فى عصيانى
ما ذاك الا أن سلطان الهوى ... وبه قوين أعز من سلطانى

غير أن أوانسى لم يكن منهن عصيان ، ولا لى عليهن سلطان •

كذلك ذكرت أوانس (جيان) الثلاث اللائى وصفهن الشاعر (مانويل ماتشادو) بقوله فى قصيدته المشهورة :

ثلاث سمراوات
شغلن قلبى من جيان •
عائشة وفاطمة ومريم •
ثلاث سمراوات رائعات الجمال
ذهبن ليجنين الزيتون
فوجدنه قد جنى ••••

ولكنى لا أذكر أوانس ابن أبى ربيعة الثلاث اللاتى اتخذ منهن مجنا يتقى به عيون القوم :

فكان مجنى دون من كنت أتقى ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فان الحديث بريء وان رمضان كريم !

أما حديث الأندلس فساعود اليه بعد أن أعود الى برشلونة لاتمام العلاج ، فاعيش فى رياضها مع أول بنى أمية الى آخر بنى سراج !

« أحمد حسن الزيات »

---

(١) عملة اسبانية تساوى ثمانية مليمات •

وهذه هي أخبارها !!!

(٩) بقلم : محمود محمد شاكر

مرة اخرى ، ثم مرة اخرى ثم مرة اخرى ، احب ان يعلم من لم يكن يعلم ، أنى امرؤ لا ترهبه بوارق الوعيد ، ولا تثنيه لوائح التهديد ، ولا تهوله الفاظ محفوظة تلوكها الأقلام الداهلة ، وتمضغها الافواه المتلمظة . وأنى مذ خفت الله وحده ، لم اطو قلبا على مخافة احد من عباده ، وانى مذ فزعت من ان اشرك بالله أحدا ، لم ترعنى كلمة أوصف بها سوى « الشرك بالله » . وكل صفة بعد هذه ، فمصيرها عندى ما قال زياد فى خطبته البتراء : « ان اجعلها دبر اذنى وتحت قدمى » ، الا ان اكون مبطلا فى قول او فعل ، فعندئذ أؤوب الى الحق صاغرا خاضع العنق ، لا تأخذنى دون ذلك عزة بالاثم ، ولا يمنعنى منه حياء او كبر ان اقر علانية بخطأ كان منى ، او زلل ترديت فيه . واستغفر الله واتوب اليه ، اذ الجانى من الجانى الى ان اصف للناس نفسى ، بما لا ينبغى للمرء أن يعتاده من التمدح ، فانه يوشك ان يكون بابا من الأبواب الخفية الى النفاق .

وخبر ذلك انى ظللت اكتبُ للرسالة ثمانية اسابيع ، كتبت فيها ثمانى مقالات ، والزمت نفسى مقالة الحق بلا جمجمة او دهان فيما اقول ، ولزمت طريق الابانة عن حقائق ما اكتب عنه ، بلا رغبة فى ثناء من احد ، ولا رهبة من مذمة تجىء من خلق ، ولا خشية افك ارمى به انا منه برىء . ثم فوجئت بشىء غريب جدا ، لم يكن مثله يخطر لى ببال . ولولا ما أجد من تبعة هذا القلم ، ومن شعور بحق قارىء الرسالة على ، لما شغلته به ، وكان من حق القارىء على الا اخليه من متابعة مايقال عما اكتب فى الرسالة ، اذا كان قائله قد استودعه مكانا غير مجلة الرسالة . وذلك انى رايت الزميل القديم الدكتور محمد مندور ، قد انشا كلمات حول شىء سماه « معاركنا الادبية » ، القى بعضها فى الاذاعة ، ثم نشرها فى مجلة « روز اليوسف » . فكتبت الى مجلة « روز اليوسف » كلمة مختصرة ارد عليه مقالته حيث نشر كلامه ، ولكن عسى الا يكون قارىء الرسالة قد اطلع على ما قال الدكتور مندور ، فمن اجل ذلك ، احببت ان الخص له فحوى ما قال .

زعم الزميل القديم ان هناك « معركتين تدوران فى الصحف والمجلات ، احداهما حول الشعر ، والثانية حول ابى العلاء المعرى وتراثنا القومى كله » !! . وبعد ان افاض فيما قال عن معركة الشعر ، التفت الى كى يقول : « ولسوء الحظ ، عاصرت هذه المعركة الضالة ، معركة اخرى اثيرت حول ما كتبه احد كبار مثقفينا عن ادب الرحلة فى العالم الآخر » ، ويعنى بذلك لويس عوض . وانا بلا ريب ، لا انكر على الدكتور مندور حقه فى ان يصف لويس عوض بما يشاء : فهو مسئول عما يقول ، ولكنى انكر عليه ان يسمى هذا الذى اكتب « معركة » ، فهذه مبالغة لا احمدها له ، فان الذى اكتبه ليس « معركة » ، بل هو كما بينت مرارا : كشف عن تزييف انسان يحمل لقبا ، لا ادرى كيف حمله ، غر بعض الناس حتى زعموه مثقفا . وليس به ، بل هو ممخرق عظيم المخرقة على الناس . وهذا احد الأسباب التى جعلتنى اوقن ان الدكتور مندور ، لم يقرا حرفا مما كتبت فى الرسالة . ولا على من ذلك ، ولكن الذى على ان أعاتب الزميل القديم ، اذ دل ما كتبه على انه لم يقرا ايضا حرفا مما كتب لويس عوض ، لأنه لو كان قراه ، لما انشا هذه الكلمات التى اذاعها ، ثم نشرها فى « روز اليوسف » . وحسبك ان تعلم ان لويس عوض قال ان ابا العلاء تعلم باللاذقية ، واخذ آداب اليونان وفلسفتهم فى لغتها الأصلية ، من راهب دير اللاذقية ، وهو دير الفاروس . فيأتى الدكتور فيقول ان لويس عوض اجتهد فى

البحث (! ! !) عن تأثر أبى العلاء باليونانيات . « ويدعى ان هذا التأثر تم بواسطة راهب يونانى اتصل به ابو العلاء فى حلب ، وافاد منه » ، فهذا الخلط كله لا يأتى من قارىء قرأ ما قاله لويس عوض ، ثم قرأ ما كتبته ورددته عشرات المرات فى المقالات التى ينتقدها ، وينصب نفسه حكما عليها . ولا على ايضا من ذلك ان شئت ، ولكن الذى على ان اجعل كل قارىء للرسالة حكما احكمه فيما كتبت ، هل وجد احد منهم انى لجأت الى « التجريح الشخصى ، والى استخدام الأساحة غير الشريفة ، والى اثارة فتنة قومية ودينية » ، كما يقول الدكتور مندور ؟ اصحيح هذا ؟ اذا كان الدكتور مندور مستهينا بالألفاظ التى تجرى على لسانه ، أفيظن أن الناس يستهينون بعقولهم التى بها يفكرون ؟ ثم من يكون لويس عوض هذا ، حتى ارتكب له هذه الخساسات التى ينسبها الى زميل قديم ؟ واذا كان هذا الانسان معدودا عند الدكتور « أحد كبار مثقفيه هو » ، فهل يظن أن أحدا يوافقه على أن هذا الخلق الذى لا يمثل شيئا ، يمكن أن يمثل « طائفة قومية » و « فرقة دينية » حتى يكون ما يكتب عن كشف زيفه ، واماطة اللثام عن نكارة جهله ، واضطراب تفكيره ، واختلاط عقله ، سببا فى اثارة فتنة قومية ودينية ؟ هذا عجب فوق كل عجب !!

ومع ذلك فهذه الألفاظ الجريئة التى لا يستحل رجل غير مستهين بالناس أن يصف بها احدا من الناس بلا بينة ، انما هى الفاظ ممجوجة قد ملتها الأسماع منذ قديم ، يوم كانت تتخذ اداة للارهاب واسكات الالسنة والاقلام ، والدكتور خبير بما اعنى ، فيما أظن . وللدكتور مندور ما شاء من الحق بعد اليوم ، أن يقول عنى ما شاء ، وان يستخدم هذه الألفاظ ما حلا له استخدامها وطاب مذاقها فى فمه ، ولكن ليعلم انها الفاظ بالية المعانى ، لا تخيفنى ولا ترهبنى ، ولا تمنعنى من وضع هذا الانسان فى حاق موضعه من حركات التدمير التى تراد باهلى وعشيرتى وبلادى ، رفض ذلك الدكتور مندور ام لم يرفضه ، وهى ايضا لن تمسك قلمى عن تمزيق هذه الظلمات التى يتخفى فيها هو وامثاله ، رحب بذلك الدكتور مندور ام لم يرحب ، فانه يقول فى كلمته التى انشأها فى روز اليوسف : « انى أرحب بكل معركة ادبية او فنية نظيفة (هكذا قال ! !) ، ولكنى ارفض كل الرفض التجريح الشخصى ، والتهم الخطيرة الباطلة (وهكذا يقول ايضا ! !) ، التى يجب منعها (وهكذا يقول ايضا !!) ، حتى لا تثير فتنا قومية ودينية ما أغنانا عنها ، وما احوجنا الى عكسها » !! و كما قال ! ورحم الله شيخ المعرة اذ يقول :

وكيف يؤمل الانسان رشدا
وما ينفك متبعا هواه
يظن بنفسه شرفا وقدرا
كأن الله لم يخلق سواه

ما احوج كل امرىء منا الى عظة هذا الشيخ الجليل ، رحمه الله ، وغفر له ، وجعل كل لسان سوء محمدة له عند ربه ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

هذا ، واذا كان الدكتور مندور ، يعد نفسه ناقدا ، ويعده الناس كذلك ، فأول شرط يجب أن يشتمل عليه الناقد ، هو الاحاطة بما يتكلم فيه ، حتى تصبح الاحاطة قبل الحكم خليقة وسجية لا يبذل فى صقلها جهدا ، ولا يلقى فى استخدامها عنتا . وهذا أمر مفروغ منه فيما اظن ، الا ان يكون « النقد » قد تغير وتغيرت شرائطه فى زمان لويس عوض (معذرة اذا قلت ذلك !) ، الذى يعده الدكتور مندور « طائفة قومية ، وفرقة دينية » !! اذا كانت هذه خليقة الناقد ، فبأى خليقة استباح الدكتور الناقد أن يقول : « من الثابت أن ابا العلاء المعرى لم يكن ثابتا على دينه الاسلامى متمسكا به ، بل لقد اتهم اتهاما اكيدا بالالحاد والزندقة » .

من الذى اخبر الدكتور مندور أن هذا ثابت واكيد ؟ وهل احاط علما بما يدعى ثبوته واكادته (وهذه لفظة جديدة ، استعملتها للدكتور خاصة !) ؟ اذا كانت الأحكام الأدبية تلقى على الناس بهذا القدر من الاستهانة ، بلا تورع ، وبلا نظر ، وبلا احاطة ، فأى قيمة للآداب تبقى عند الناشئة ممن يجل الدكتور مندور ويتثقف على يديه ؟ وانا بحق زمالتى القديمة ، وبحق معرفتى بالدكتور ، كنت اربأ به عن هذه الاستهانة ، وكنت اتمنى له الا يدع لشىء ، مهما عظم ، سلطانا على أحكامه الأدبية ، لأنه اذا خلط هذه الأحكام

مرة بالتسرع والحيف وقلة الاحاطة ، سقطت الثقة بأحكامه في مئـــات من المرات . وكل مبتدىء من تلامذته ، يستطيع أن يرجع الى عشرات من الكتب قد نظرت في دين شـيخ المعرة ، ونقدت الأخبـار والأشعار التى ساقها من ساقها للدلالة على فســاد دين الشيخ ، فيرى فيها برهانا اقوم على ســلامة دينه ، وعلى التزامه شرائع ربه ، فكيف يقول اذن ، اذا سمع الدكتور يثبت ويؤكد فساد دين الشيخ بلا برهان انتزعه من كتبه ودواوينه ، وبلا بينـة او حجة ؟ أهكذا يتصدر الناس للقضاء في مثـل ذلك الأمر العظيم ؟ وأى فرق يبقى بين الدكتـــور مندور ، وهو من هو ، وبين لويس عوض ، هـــذا الدعى الذى لا يحسن شيئا الا الثرثرة الفارغة ؟

ولم يفعل الدكتور ذلك ، ويرتكب هذا الحكم الجائر بلا تردد ؟ الأن شيخ المعرة قد مات وبليت عظامه منذ أكثر من ألف سنة ، فلم يبق على ظهـر الأرض حى يدفع عنه ، أو يتكلم عنه ، كما يجـد لويس عوض من يدفع عنه أو يتكلم عنه ؟ ورحم الله الشيخ ، كأنه كان ينظر بعين الغيب الى ما سيلقاه بعد موته اذ قال :

متى عدّ الأقـــوام لبـا وفطنـة
فلا تســالينى عنهما وســل بى
افارقهم ، ما العـرض منى عندهم
ثليبـــا ، ولا عـرض لهم بثليب
وهان على سـمعى اذا القبر ضمنى
هـرير ضــباع حوله وكليب

ولو أطاق الدكتور مندور أن يقرأ مـا كتبت فى مجلة الرسالة ، لعلم أن أمر اتهام الشيخ بفســـاد الديانة ، دونه أشواك مبعثرة من الشكوك ، لا يليق بدارس بعد اليوم أن يتجاهلها أو يغفلهـــا . وذلك لأن الدراسة الأدبية لآثار الرجال من كتاب وشعراء، لا تقوم على التسليم بالأخبار الملفقة التى يلقيهـــا مستهزىء، او مبغض، أو حاقد، او غافل، او علج من علوج الروم ، أو زاقول من زواقيل الجزيرة ، بل تقوم على نقد الأخبار ومصادرهـــا ومواردها بتمحيص مسئول عما يقول . وعار على أستاذ دارس أن يتقمم الكلمات من أفواه الناس بلا شك ، وبلا عرض لهذه الكلمات على الآثار نفسها ، بأمانة وصدق وجد ، وبلا استهانة كاستهانة جلاس المقاهى واحلاس الارصفة!! ممن لا هم لهم الا التشدق بالالفـاظ المستظرفة على ثقلها ، والنظرات المتهكمة على غثاثتها وبردهـــا .

وليعلم من يحب ان يعلم ، أن الدراسة الأدبية جد لا مزاح فيه ، وأن أمة تسلك طريق الهزل والتماجن ولوك الألفاظ المستشنعة تظرفا في دراسة آدابها ، أمة قد قضى الله عليها أن تكون هلاكا مجسدا ، وبلاء مصبوبا ، على ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

وما دام الدكتور مندور ، قد صرفنى عن متابعـة ما كنت فيه من شأن هذا الدعى المتخابث ، الطواف على المجالس متاجيا بآثمه وحيله ومكايده وعبثه ، ملقيا فى الآذان أنى أريد « فتنة قوميـــة ودينية » (اعنى لويس عوض قائل ذلك !) منذ بدأت اول مقالة كتبتها للرسالة ، ولم يزل يرددها حتى صدقها رجل مثل الدكتور مندور ، فرددها فيمـــا يقول عنى - ما دام الدكتور مندور قد صرفنى الى مثل هذا الهـــذر ، فانى لمنصرف الى مـا كتبـــه في مجلة « روز اليوسف » فيما سماه « معركة الشعر » ، وان كنت غير راغب أن أتعجل هذا الأمر قبل أوانه من مقالاتى هذه . ولكن هكذا أراد الدكتور مندور ، وهكذا عجل القلم . ولكنى لن أدخل الأمر من مدخله الذى كنت أتوقع الولوج منه ، بل من حيث اراد الدكتور مندور نفسه أن أدخل ، بأن جعل المعركتين، فيما زعم ، في قرن واحد ، ووصفهما بصفة واحدة اذ قال بعد كلامه الذى نقلته فى صدر الحديث : «حيث أخذت تتسلل الى هاتين المعركتين (!!) عناصر تجريح شخصى غير كريم ، واتهامات قومية وسياسية غير شريفة (والعياذ بالله من الألفاظ !) » . والذى يحملنى على الانصراف الى هذه المقالة فى الشعر ، أن الأمر فى نقد « المعركتين » ، مبنى كله فيهمـــا على الاستهانة بخطر الألفاظ والأحكام ، وقائم على عدم الدقة والضبط فى تحديد المعانى ، وعلى اذابة الجد فى ماء عكر من الهزل ، بلا توقف ولا أناة .

يقول الدكتور مندور : « وأكثر خطرا وضراوة وضررا من تهمة الخروج على القومية العربية ، ممثلة فى الاطار التقليدى للقصـــيدة ، تهمة الخروج على الاسلام ، بدعوى أن هذا الشعر الجديد يســـتخدم أحيانا الفاظا كثيرة التردد فى دين كريم يعترف به الدين الاسلامى نفسه ، كالدين المسيحى ، مثــل لفظة «الخطيئــة » ، ولفظة « الخـلاص » ، ولفظة « الصلب » ، فهذه تهمة غبية ؛ ونحن المســلمين نعتبر جميع الديانات السماوية جزءا من تراثنـــا الروحى بل جزءا من التراث الروحى للبشرية جميعاء ونحن حتى لو افترضنا العكس ، لما جاز هذا التخبط

فى الاتهام ، مراعاة لمشاعر اخواننا فى الوطن الذين شاركونا دائما افراحنا واحزاننا ومعاركنا الوطنية الكبرى ضد الاستعمار والرجعية والاقطاع والراسمالية الجشعة ، وهم اخواننا واشقاؤنا الاعزاء الاقباط » .

وقبل أن أبدأ فى بيان ما أريد من خطر هذه الكلمات المختلطة التى تلقى بلا حساب ، أحب أن أسأل سؤالا ، لا أوجهه الى الدكتور مندور ، بل لكل من لا يدين بالاسلام من المواطنين : ما الذى يجرح مشاعر احد منهم ، اذا قلنا ان لفظ « الخطيئة » ، و « الخلاص » ، و « الفداء » ، و « الصلب » ، وهى الفاظ ذات دلالات واضحة فى العقيدة المسيحية ، ليست لها هذه الدلالات عندنا نحن المسلمين ، وليس لها تاريخ أو أثر فى حياتنا ، كتاريخها وأثرها فى حياتهم ، وأن المسلم اذا استعملها ، فانه يستعمل ألفاظا لا تؤدى معنى واضحا فى نفسه ؟ وبلا ريب ، لا يستطيع مجيب أن يقول : ان هذه المقالة تجرحنى وتؤذى مشاعرى ! فانه عندئذ يكون متجنيا اكبر التجنى ، فى الزام من لا يدين بدينه ، أن يدين بمدلولات ألفاظ لا أصل لها فى عقيدته . أليس كذلك ؟ فاستخدام الدكتور مندور ، « أسلوب الحكيم » فى عرض هذه المسألة ، ضرب من المغالطة ، وتحويل للأمر كله عن مستقره ، وادخال للسفسطة فى مقام لا يحسن فيه الا صريح العقل والمنطق . واذا جاز للدكتور مندور أن يقول هذا للمسلمين ، حتى ينتهوا عن انكار ذلك على من يستعمله ، لجاز ايضا لمن يعكس الأمور من المسلمين أن يقول لأهل المسيحية : ارجوكم أن لا تستعملوا لفظ « الخطيئة » ، و « الخلاص » و « الفداء » و « الصلب » ، لأن ذلك يجرح مشاعر المسلمين ؟ أمن العدل أن يطالب أحد نصرانيا بمثل هذه الحجة المتهافتة ؟ هذا خلف من القول ردىء .

وأمر الدين أمر جلل ، لا يقضى فيه الدكتور مندور ، أو لويس عوض ، أو غيرهما بما يشتهى هو ويحب ، بالفاظ يراها هو دالة على معنى مفهوم ، وهى لا دلالة لها الا على سوء تصور الأمور المشكلة التى تفضى الى اكبر الاخطار . فقول الدكتور مندور « اننا نحن المسلمين نعتبر جميع الديانات السماوية جزءا من تراثنا الروحى ، بل جزءا من التراث الروحى للبشرية جمعاء » ، قول لا يقوم على ساق صحيحة ولا ساق عرجاء ، وليس يصح له أن يذيع مثل هذا على الناس ، بلا احتفال ولا تقدير لدلالاته . وأقل ما فيه من الخطأ أن قائله لا يحسن أن يفرق بين معنى « الديانة » ، كما يعرفها كل ذى دين ، وبين معنى « الكتاب » الذى أنزله الله على نبى من أنبيائه . فالمسيحى مثلا ، لا يعد الديانة اليهودية ولا الديانة الاسلامية جزءا من تراثه الروحى ، والا انتقض عليه دينه . واليهودى أيضا ، لا يعد الديانة المسيحية ولاالديانة الاسلامية جزءا من تراثه الروحى ، والا انتقض عليه دينه ، وكذلك المسلم ، لا يعد الديانة اليهودية ولا الديانة المسيحية جزءا من تراثه الروحى ، والا انتقض عليه دينه ، لأن كل ديانة من هذه الثلاثة لها عقيدة شاملة منتزعة من كتابها كما هو عندها ، وكما تفسره ، وكل عقيدة منها تنقض كثيرا من عقائد الديانتين الأخريين ، فغير معقول بوجه من الوجوه أن تعد شيئا مما تنقضه جزءا من تراثها الروحى ، الا اذا كان معنى « التراث الروحى » متسعا للتناقض الذى لا يقبله عقل عاقل .

فنحن المسلمين انما أمرنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام ، وأنزل الانجيل على عيسى بن مريم عليه السلام ، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، اى شاهدا عليها أنها حق من عند الله أمينا عليها ، حافظا لها ، فما وافق القرآن فهو حق وما خالفه ، فالله حاكم بيننا وبينهم فيه يوم القيامة . وهذا بلا ريب صريح المعقول ، أما أن يكون ما وافق القرآن ، وما خالفه جميعا جزءا من التراث الروحى للمسلمين وغير المسلمين ، فهذا ابطال لقضية الدين كلها ، ويكون معناه عندئذ أن تمحى جميع الفروق بين الديانات ، وخير للناس يومئذ أن يعترفوا جميعا ببطلان دياناتهم ، ويلتمسوا لأنفسهم دينا آخر يجتمعون عليه . وهذا شىء لايقول به احد من أهل الأديان .

وندع هذا الخلط فى كلام الدكتور مندور ، الى دلالة الألفاظ التى سبق أن ذكرت فى مقالتى الخامسة أن لويس عوض ، منذ ملأه ماله فى «الخلوة المشهورة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » ثم أطلقه خلال الآداب عامة ، والآداب العربية خاصة ، لا يكاد يرى فى سماديره الا « الصلب » و « الخلاص » و « الفداء » و « الخطيئة » ، ولا يكاد يرى ما يكتبه

الكتاب والشعراء ، كتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ، وصلاح عبد الصبور ، وغيرهم ، الا مقرونا بهـذه العقـائد ، وهـذه الالفاظ هي نفس الالفاظ التي جاءت في مقـال الدكتور مندور ، وأفتى فيها بما افتى ! !

وهذه الالفاظ الاربعة ، ينبغي أن تدرس بـلا غموض ولا ابهام ، كما يحاول ذلك من يحاوله من صبيان المبشرين ، وبلا استهانة بدلالاتها كما يحاول ذلك الدكتور مندور وغيره ممن يعدها رموزا لتراث روحى ، لا باس على المسلم في استعمالها ! كلا ان الطريق محفوف بالمخاطر ، لمن صدق نفسه ، وعرف حرمة الكلمة كيف تقـال ، وكيف تفسر ، وكيف توضع في موضعها . وترتيب هذه الكلمات الاربعة في دلالتها عند القوم يأتي هكذا : «الخطيئة» ، ثم «الفداء» ، ثم «الصلب» ، ثم «الخلاص» .

وتلخيص معنى هذه الالفـاظ الاربعة في العقيدة المسيحية : أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم من تراب وقال له : « يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » فأزلهما الشيطان عنها . فبهذه المعصية كمـا نقول نحن ، وهي « الخطيئة » عند النصارى ، اصبحا هما وذريتهما تحت سلطان هذه الخطيئة ، لا ينفكون منها ، واستحق البشر جميعا ، بخطيئة والديهم ، عقاب الآخرة وهلاك الابد . وهذا هو ناموس العدل الذي لا يتغير ، يستحقه من عصى الله سبحانه عندهم ، ومن ورث خطيئة آدم وزوجه. فان عاقب الله آدم وذريته على خطيئتهم بهلاك الأبد ، فذلك ما يوجبـه ناموس عدله في حكمه ، ولكن ناموس رحمته يستوجب العفو عنهم، فناقض ناموس العدل ، ناموس الرحمة ، فتطلب الامر شيئا يجمع بين الرحمة والعدل .

فكانت الفدية التي يتم بهـا ناموس العدل ، ويتحقق بها ناموس الرحمة . ولكن ينبغي أن تكون الفدية طاهرة غير مدنسة ، وليس في الكون ما هو طاهر بلا دنس الا الله سبحانه وتعالى . ولكن تعالى الله عن أن يكون له جسـد يكون فدية ، فأوجبت المشيئة أن يتخذ جسدا يتحد فيه اللاهوت والناسوت ، فاتحدا في بطن امرأة من ذرية آدم هي مريم ، فيكون ولدها انسـانا كاملا من حيث هو ولدها ، وكان الله ، تعالى عن ذلك ، في الجسد الها كاملا ، فكان المسيح الذي أتى ليكون فدية لخلقه . وهذا هو «الفداء» . ثم احتمل هذا الانسان الكامل والاله الكامل ، أن يقدم ذبيحة ، ليكون ذبحه تمزيقا لصك الديونة المصلت على رأس بني آدم ، فمات المسيح على الصليب . فاستوفى ناموس العدل بذلك حقه ، واستوفى ناموس الرحمة بذلك حقه ، وهذا هو «الصلب» . وكان احتمال ذلك كله كفارة لخطايا العالمين ، تخلصهم من ناموس هلاك الابد ، وهذا هو «الخلاص» . ولما كان البشر كلهم خطاة بخطيئة أبيهم آدم وامهم ، فهم هالكون هلاك الابد ، ولا ينجيهم من عقاب الشريعة الالهية العادل المخيف ، سوى ايمانهم بالمسيح الفادي ، وبحضوره في كل وقت في قلوب المؤمنين ، في الفرح والحزن ، والشقاء والسعادة ، فهو الذي يؤازرهم بما يحتـاجون اليه من العون والحكمة ، ويخلصهم من ثقل الخطيئة ، وينجيهم من العقوبة المستحقة عليهم منذ كانت الخطيئة الاولى .

وهذه الالفاظ الاربعة ، لا تعامل معاملة أشباهها، من جهة اللغـة ، بل من جهة دلالتهـا على عقيدة متكاملة . فالخطيئة ، في لغة العرب الجاهليين ، ثم في لغة المسلمين ، لا تحمل شيئا من معانيها ولوازمها في لغة النصارى ، وان كان اللفظ واحدا . ومعصية آدم عندنا معصية كسائر المعاصي ، تمحوها التوبة، وخطيئة كسائر خطايا الناس ، تغسلها المغفرة ممن يملك المغفرة ، وهو الله سبحانه . وقد بين الله ذلك في قوله : « وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم». فكانت توبة آدم ماحية لمعصيته في الدنيا والآخرة ، لا تستتبع عقوبة باقية ، وان الله سبحانه كتب في صحف ابراهيم وموسى : «الا تزر وازرة وزر أخرى»، فلا يرث مولود خطيئة والد «وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . فهذا ينقض على المسـلم استعماله لفظ «الخطيئة» ، بمدلولها في الديانة المسيحية. لان هذا الضرب من «الخطيئة» ، لا أصل له في عقيدته ، بل هو منهي أن يعتقد توارث الخطيئة ، لانه اذا اعتقد ذلك كذب خبر الله في كتـابه ، بأن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وتكذيب خبر الله واعتقـاد خلافه كفر مجرد . لايختلف في ذلك احد من المسلمين والعقلاء عامة مسلمين أو غير مسلمين .

واذا بطل أن يكون للفظ «الخطيئة» عند المسلمين معنى يحمله ، كالذى هو عند النصارى ، بطل ان تحتاج معصية آدم الى فدية تتطلبها ضرورة الجمع بين الرحمة والعدل . و «الفداء» بالمعنى الذى تدل عليه عقيدة النصارى ، غير مفهوم عند أحد من المسلمين ، ولا يرى ما يستوجبه ، اذ لم تكن الخطيئة عندهم متوارثة فى الذرية . واما ما استوجب معنى الفداء من ألوهية المسيح وبنوته لله ، تعالى الله عن ذلك ، فان الطفل الصغير يقرأ فى أول مايقرأ : «قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » . ثم يتعالى حتى يقرأ بعد ذلك: « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا » . الى آيات كثيرة بهذا المعنى . فاستحال أن يكون ذلك من عقيدة أحد من المسلمين، واذا استحال هذا ، استحال ما يوجب معنى «الفداء» ، ولا يبقى لهذا اللفظ سوى المعنى اللغوى العربى المشهور .

واذا بطل هذان المعنيان ، لهذين اللفظين «الخطيئة، والفداء» ، على الوجه الذى هو من عقيدة النصارى ودياناتهم . واستحال ان يقولهما المسلم وهو يعتقد فيهما مثل ما يعتقده النصارى ، لم يكن للفظ « الصلب » بعد ذلك أى معنى ، سوى المعنى اللغوى المشهور ، سواء كان المسيح قد صلب كما يعتقد النصارى ، أو لم يصلب كما يعتقد المسلمون ، بما أنبأهم الله سبحانه وتعالى اذ يقول فى كتابه الكريم حين ذكر اليهود وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق : «وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما » .

واذا استحال أن يكون لهذه الالفاظ الثلاثة معنى عند مسلم يعتقد صدق ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه من القرآن ، استحال أن يكون للفظ «الخلاص» معنى مفهوم عنده ، على الوجه الذى يعتقده من يدين بالنصرانية وعقائدها .

واذا استحال أن يكون لهذه الالفاظ الاربعة : « الخطيئة ، ثم الفداء ، ثم الصلب ، ثم الخلاص » معنى عند المسلم على الوجه الذى تدل عليه عند أصحابها ، فكيف تكون جزءا من تراثه الروحى ؟ أهذا كلام يعقل ؟! كلا بلا ريب ، لا يعقله مسلم ولا نصرانى ولا مجوسى ، ولا ماشئت من أصحاب العقائد والديانات ، ولا يخرج عن أن يكون سخفا لا يستغفل بمثله النصارى ارادة أن نستجلب مودتهم . ولن يؤذيهم ويجرح مشاعرهم ان نكون صرحاء فى التعبير عن وجوه الخلاف بيننا وبينهم فى العقيدة ، ولكن بما آذاهم أن نتخذ ألفاظ عقيدتهم لهوا ، بادخالها فى باب المداهنة السخيفة التى لا تدل على عاطفة صحيحة ، بل على آفة شديدة فى هذه العاطفة . وكيف لا يؤذيهم ، وهم يعرفون اننا نقول لهم شيئا فيما يمس عقائدهم ، ونحن نبطن شيئا غيره ، ان هذا الفعل أقرب الى السخرية بهم والاستهزاء بعقولهم. وهذا بيان كاف فى هذا الامر انشاء الله.

اما مسالة استخدام الشعر الجديد لهذه الالفاظ الاربعة ، فلا بد من تحديد وجهة النظر الى هذا الموضوع . فالشعر تراث عام فى كل لغة من اللغات وسواء أكان المتكلم بهذه اللغة مشركا ، أم يهوديا ، أم نصرانيا ، أم مجوسيا ، أم مسلما ، أم جاحدا لذلك كله كافرا به ، فمن حقه أن يستخدم شعر اللغة للبيان عما فى نفسه ، لا يملك أحد أن يدفعه عن ذلك ، وليس يجعل شعره حسنا أن يكون اعتقاد الشاعر حسنا عند قارئه ، ولا يجعله سيئا أن يكون اعتقاد الشاعر سيئا عند قارئه . فالشعر ، هو كما قالت أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها : « الشعر كلام ، فحسنه حسن ، ورديئه ردىء ، فخذ الحسن واترك الردىء » . واذا كان الامر كذلك ، فليس يعيب شعرا يقوله نصرانى أن يأتى فيه بألفاظ أهل ملته ، مادام صادقا فى التعبير عن نفسه بكلام جيد يدخل فى باب الشعر . وتأتى على النفوس أزمان وأحوال ، تكون بعض ألفاظ العقيدة كأنها جو شامل شديد التفجير لها من نواحيها ، فتجرى الألفاظ عندئذ فى مد النفس تلوح معبرة عن معان مختزنة من تجارب القرون التى عاشت بهذه العقيدة ، ومن التجربة الحديثة التى نبعت وانبثقت فى نفس هذا الشاعر او ذاك . فالنصرانى المعتقد فى « خطيئة » ابيه آدم أنها خطيئة لا تمحوها توبة ، وانه ورث هذه الخطيئة فى دمه ، وأن نكال الهلاك الخالد جاثم على روحه ، اذا استدفعه الاحساس الطاغى الصادق الى الابانة عن كل ما فى نفسه من تراث دينه وعقيدته وثقافته ، فذكر بعد ذلك

« الفداء » ، و « الصلب » ، و « الخلاص » ، فى حق موضعه من الشعر ، فقد احسن غاية الاحسان فى الابانة عن نفسه ، وعسى أن يقرأه المسلم وغير المسلم ممن شم طرفا من معرفة عقائد النصرانية ، فيهتز لهذا الشعر اهتزازه لأى شعر آخر ، ضمن بيانا مشرقا من احساس صحيح نابض . واظن ان الذين يتكلمون فى « معركة الشعر » ، لم يريدوا قط ان يحجروا على النصارى ان يقولوا من جيد شعرهم ما جادت قرائحهم بالجيد من الشعر ، ولم يستنكروا على ذى عقيدة أن تجرى ألفاظ عقيدته فى شعره .

ولكن الشىء العجيب المحير، هو أن كثيرا من رواد الشعر الحديث فى السنوات الأخيرة ، قد أوغلوا فى استخدام هذه الألفاظ الأربعة ، وقليل من أشباهها ، فى شعرهم ، وهم جميعا مسلمون . فالأمر عندئذ يوجب اعادة النظر . اهؤلاء جميعا قد تواطأوا على استعمال هذه الألفاظ الأربعة لدلالتها اللغوية المجردة ، أم بدلالاتها التى تتطلبها العقيدة المسيحية مترابطة متواصلة لا ينقطع حبل معانيها المتداعية من « الخطيئة » الى « الفداء » الى « الصلب » ، الى « الخلاص » ، كما اسلفت بيانه ؟ فاذا كانوا قد تواطئوا على استعمالها بدلالتها اللغوية المجردة فما الذى الزمهم هذه الألفاظ الأربعة ، ولم يضعوا مكان «الخطيئة» مثلا « الاثم » ، و « الذنب » ، او « الحوب » او « المعصية » ، او « الزلة » او ما شئت ؟ وكيف تواطئوا ، على تباعد الديار والأوطان ، على هذه الكلمة ، وأى سحر فيها ! ولم قالوا « الفداء » ، واكثروا ، ولم يقولوا قط « الكفارة » ؟ ولم قالوا « الصلب » و « الصليب » ، ولم يقولوا « الشنق » و « المشنقة » ، وهى اشهر واعرف واكثر استعمالا الى اليوم ؟ ولم قالوا : « الخلاص » ، ولم يقولوا « النجاة » ؟ والجواب بلا شك انهم لم يستعملوها بدلالتها اللغوية ، ولا فكروا فى ذلك ، لأسباب كثيرة جدا ، أقلها أن التواطؤ على هذه الصورة فى ألفاظ اربعة من اللغة ، يدخل فى باب المحال عقلا حدوثه ، اذا زعم الزاعم ان ذلك وقع اتفاقا ومصادفة ، فطابق الألفاظ الأربعة التى تقوم عليها العقيدة المسيحية .

ومن المغالطة الفاضحة ما قرأته فى صحيفة لويس عوض (المعروفة الآن بصحيفة الأهرام ! !) حيث زعم الكاتب « أن أكبر ما اضسافته الحركة الشعرية الجديدة هو الاستعانة بالرمز ، فالصلب عند كثير من الشعراء ، رمز لتضحية الانسان فى سبيل القيمة التى يؤمن بها . والاسلام يعرف كلمة الخطيئة ، كما قال القرآن الكريم : « واغفرلى خطيئتى يوم الدين » . وهذا نص كلامه . ولست ادرى كيف يتكلم الناس هذه الايام ، أبالسنتهم دون عقولهم ، أم بهواجسهم دون تأملاتهم ، ام بخطراتهم دون افكارهم ؟ لماذا كان « الصلب » رمزا للتضحية ، ولم يكن القتل ، ولا الشنق ولا المثلة ، ولا الخازوق !! مادام الأمر يتعلق باللفظ دون دلالته المرتبطة بمصلوب بعينه أو مقتول أو مشنوق أو ممثل به او مخوزق !! وأما «الخطيئة» فلم يقل لنا ماهو الرمز الذى اتخذت له. والاسلام كما يعرف « الخطيئة » ، وهى التى يحتقبها أبناء آدم ، يعرف « المعصية » ، و « الذنب » ، وقال فى ذكر أبينا آدم : « وعصى آدم ربه فغوى » ، ولم يسم معصية آدم « خطيئة » قط . فهذه مغالطات معيبة . (وبالمرة ، يحسن أن يقال لهذا الكاتب الا يتبع سبيل المستهينين بحقوق الألفاظ والنقول، فليس فى القرآن آية كالتى ذكرها ، بل الذى قال الله تعالى : والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين . فلزم التنويه) ! وياللعجب لصحيفة الأهرام !! ما أشد عنايتها وحفاوتها بما ينشر فيها!

وقد ذكرت هذه المغالطة ، لأنها هى الطريقة المستعملة حديثا (!!) فى التفكير ، ولأنها هى الستار الذى يلقى على الحقيقة المفزعة ، مضافا اليها توابل من ذكر التطور ، وسائر الالفاظ التى تباع الآن فى الصحف منظومة فى الأعمدة ، كما تباع عقود الفل والياسمين . ولكن من البين ان هذه المغالطة قريبة مكشوفة كما سلف . والحقيقة ان الامر كله يتلخص فى كلمات قلائل :

فهذه الكلمات الاربعة وهى اس العقيدة المسيحية لايمكن أن تقع اتفاقا ، فيتوطأ عليها بعض الشعراء ، لا عن عقيدة ، بل عن التماس رمز لشىء يجدونه فى حياتهم ، فلا يجدون الا هذه الاربعة بأعيانها . هذا باطل بالطبع . ولكن الواقع ان فى بعض البلاد وبعض الطوائف من جعل ديدنه فى شعره ذكر هذه الاربعة ولا يعاب ان يذكرها لأنه مسيحى يعيشها عقيدة واقتناعا بجميع ماتلزمه العقيدة من امتداد معانى هذه الألفاظ وروابط بعضها ببعض . ولكن هذا

الضرب من الشعر، قد تولى منذ قديم بعض صبيان المبشرين الترويج له ، والاكثار من التلويح بانه الجديد الذى لا جديد غيره، واكثروا فى ذلك الصخب واللجاجة فى الصحف والمجلات ، وقارن ذلك تفشى شعر اليوت ، ومذهبه فى تحديد الثقافة • وان ثقافة الشعب ، ودين الشعب ، مظهران مختلفان لشىء واحد، لان الثقافة فى جوهرها تجسيد لدين الشعب، **وان السير الى الايمان الدينى عن طريق الاجتذاب الثقافى ، ظاهرة طبيعية مقبولة .**

وبمكر وخبث شديد ، مزج بين اليوت ومذاهبه، وبين هذا الشعر الذى يحمل هذه الالفاظ الاربعة فى فئة غريبة الاطوار من دراويش جبل لبنان ، وجلجل الدعاة بالمقالات الطنانة ، واتخذت فى كل بلد عربى ركائز لهذه الابواق ، تذيع ما يلقى اليها او تلقنه ، وظهر فى مصر فى اوائل هذا الوقت صبى «الخلوة المشهودة تحت اشجار الدردار» ، واطافت به طائفة على شاكلته ، وكان يومئذ فى الجامعة مدرسا للغة الانجليزية ، وكتب شعر بلوتولاند الذى دللت عليه ، وكان الصبى القديم قد هرم وصار كهلا لاغيلمة المبشرين فى مصر • وبدا نفث السموم ، تصادف ذلك شبابا قل محصولهم من الجد فى القراءة، وسئموا الشىء الذى يلقى اليهم فلا يفهمونه ولا يحترمونه ، لان نظام **دنلوب** كان قد انتهى الى غايته فى قتل اللغة العربية فى عقر دارها ، فى مصر ، ولا يزال يفعل ، الا ان تتداركها العزائم المخلصة ، فمن ههنا بدت هذه الالفاظ الاربعة تاخذ طريقها الى السنة هذه الطائفة من الشعراء المحدثين، مقرونة بالحملة المبددة لموازين الشعر القديم، فكان المسلمون من هؤلاء الشعراء ، انما يستعملون هذه الالفاظ لظنهم انها جزء متمم لجدة الشعر ، والاحساس بواقع الحياة التى يعيشونها، بما فيها من آلام الحيرة والضياع والاستبداد والمخاوف ، فكان لهذه الالفاظ الجديدة سحر فى نفوسهم ، فاتخذوها تقليدا ، بلا فهم بما تنطوى عليه من الدلالات . وكلما نشأ ناشىء منهم ، قام له من يثنى عليه ويمتدحه ويذيع بشعره حتى يجتذب الى تقليده آخرين • وتفشت الكذبات، وطال عليها بعض الامد ، فلما جاء الاعتراض عليها، التمسوا تفسيرا لهذه الالفاظ المقلدة التى لا صدى لها فى نفوسهم ، فقالوا هى **«الرمز»** ، فسألهم : رمز لماذا ؟ ولم كانت هذه الاربعة دون غيرها هى الرموز؟ لم يحيروا جوابا الا كالجواب الذى اسلفنا ذكره ، بما فيه من المغالطة ، فالامر كله مبنى على تقليد مجرد لا قيمة له . فالمقلد لا يفلح ابدا . وانما يفلح من جاء الاحساس بالشىء من قرارة نفسه ، وقليل ما هم فى كل من يتكلم .

وفى هذا الاوان نفسه يقوم لويس عوض وصبيانه بتفسير آثار توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور على اساس من مفهوم هذه الالفاظ الاربعة : وانهم وان كانوا مسلمين ، فان آثارهم التى لا تحمل هذه الكلمات الاربعة بنصها ، تحملها جميعا بمعناها ومبناها! وهذه احدى الاعاجيب ، ولكن ليس بعجيب ان يكون هذا المبشر الداعية الى تحطيم المجتمع العربى ، فى خلال هذه الفترة الشديدة الخطر قد لقن كما لقن غيره من الابواق فى اماكن مختلفة ، بين كتاب وشعراء ان يبدأوا بث هذه الافكار التى توهن الشعور باليقظة ،و تشكك فى الماضى ، وتعلم النشء التقليد ، اى الكذب على النفس وعلى الناس.

لقد قطعنى الزميل القديم عما كنت فيه من امر العامية وتاريخها وآثارها . وكنت اوشك اكتب : « وهذه هى اخطارها »، ولكنى انصرفت عن ذلك اثناء الكتابة ، وان كنت اظن الامر قريبا من قريب، والى الاسبوع القادم ان شاء الله .

محمود محمد شاكر



فن ترجمة الشعر

للدكتور : عبد الحميد يونس

لقد واجه الشعر فى العالم كله تقريبا أزمة جعلته يتخلف عن مكانته الممتازة بين فنون التعبير ، وظهرت هذه الازمة بصورة واضحة بين الحربين العالميتين ، وكانت مثاراً للجدل والمناقشة والبحث ، وكاد يجمع النقاد والشعراء والفلاسفة على أن طبيعة الحياة المعقدة التى تنزع الى السرعة فى كل شىء ، والتى يغلب الصخب فيها على التامل ، هى التى جرفت الشعر عن مكان الصدارة الذى ظل يتربع عليه الاحقاب والدهور . وليس من شك فى أن هذه الازمة لا تعود الى طبيعة الحياة شبه الصناعية ، بقدر ما تعود الى طبيعة الشعر نفسه ، ذلك لان التعبير الفنى ـ مهما أصابه ـ لا يزال هو المحقق لوجود الانسان وموقفه من نفسه ، ومن الحياة ، ومن الكون . وليس من شك أيضا فى أن تخلف الشعر لايعنى تخلف الشاعرية الانسانية التى تتوزعها فنون الايحاء والتوقيع وتشكيل المادة .

وكان من الطبيعى أن تصبح ازمة الشعر بعد الحرب العالمية الثانية ، شبيهة بالادوار المزمنة التى يستعصى تشخيصها ، ويتعذر علاجها . ولم يغب عن النقاد والفلاسفة والشعراء أن الاشكال الجديدة والمضامين الجديدة قصيرة الاعمار بالقياس الى الاشكال القديمة والمضامين القديمة ، وكأنها المواليد التى لم تستكمل فترة الحمل الصحى ، والتى خرجت الى الحياة ناقصة الوزن ... ناقصة الاعضاء بعد ولادة عسرة ، احتاجت فى ابداعها الى ما يشبه مبضع الجراح .. ! ولقد كثرت فى عالم الشعر الانماط المستحدثة ،وكان على الحياة أن تتلقاها بين التسليم والانكار ، وبين الدعاية والاختبار وكثرة هذه الانماط تشير فى ذاتها الى عمق الازمة واستمرارها ، وتشير ايضا الى أن روح العصر لم تجد بعد الشعر الذى يخلدها . وانها تتردد بين الشعر التقليدى الذى استطاع ان يبقى عنصرا حيا من عناصر الغذاء الفنى ، وبين الشعر المستحدث الذى لا يحمل من عناصر الغذاء اكثر مما تحمل شطائر الانسان العجل الذى لا يجد وقتا حتى للوقوف ! ..

الاحياء والترجمة

يخطىء من يظن أن العرب لا يواجهون هذه الازمة العالمية فى الشعر الآن ، وهم بفضل موطنهم الكبير ، يتوسطون العالم ، ولا يمكن أن ينعزلوا عن تطوراته وأحداثه ، وبخاصة فى دنيا الفكر والوجدان. واذا كان هناك نفر من الناس قد تصور بحسن نية ـ ولا نقول بسوء قصد ـ ان الادب العربى قد تاثر الفرس واليونان والرومان فى العصور الوسطى، تاثره للآداب الأوروبية والأمريكية فى العصر الحديث، فان ذلك لا يمكن أن يحجب الحقيقة السافرة ، وهى أن الادب العربى بصفة عامة ، والشعر العربى بصفة خاصة ، قد منح الشعوب الهيلينستية والرومانية والجرمانية ببعض الأشكال والمضامين حتى فى غضون الصراع الصليبى . ولكن العرب عندما افاقوا فى نهضتهم أوائل القرن الماضى، واجهوا موقفا مزدوجا .... واجهوا مقتضيات الاحياء التى تضعهم فى مكانهم من تاريخهم ، كما واجهوا

تفوق الغرب المادى بثورته الصناعية الكبرى . وليس صحيحا على الاطلاق ان جميع مقومات النهضة انما كانت حكاية لأفكار الغرب ، وآداب الغرب ، وسلوك الغرب . وكل منصف يتوسل بالحياد فى الحكم يستطيع أن يستعيد احداث النهضة وفكراتها قبل الحملة الفرنسية بزمن يقصر أو يطول . لم تكن النهضة العربية فى السياسة والفكر رقصة على ايقاع المدافع الفرنسية ... ولا كانت آثار أقدام الجنرال «بونابرت» ... لم تكن صدى لدهشة « رفاعه رافع الطهطاوى » ومن كان معه فى باريس ، ولكنها كانت تحولا فى الحياة وفى السلوك ... فى العقول وفى القلوب ، نجد شواهده — أولعل الأصح ان نقول بعض شواهده — فيما سجله المؤرخ العربى « عبد الرحمن الجبرتى » عن الفترة التى سبقت الحملة الفرنسية وقدوم نابليون .

لم يتأثر العرب فى مصر بما سجله العلماء الذين صحبوا الحملة الفرنسية ، وانما تأثروا المطبعة التى بقيت بعد خروج هذه الحملة . وليست المطبعة هى التى صنعت النهضة الادبية ، ولكنها سايرت التطور النزاع الى ديمقراطية العلم والفكر والادب . وسرعان ما يسرت هذه المطبعة الكتب لأوساط المتعلمين، وكانت ترتكز فى عهدها الاول على الاحياء الذى تجاوز الصنعة الجامدة فى فن الشعر الى التماس النماذج فى عصور البداوة والحضارة على السواء ، وظهرت الكلاسية الجديدة بجميع مقوماتها من الاحتفال بالشكل ، والاكبار من شأن القديم ، واعتبار الفن الشعرى حرفية لها قواعدها وضوابطها وعلاقاتها ، ومع ذلك استوعبت هذه الكلاسية الجديدة مضمونا يصور النزعة الثورية الى حرية الفرد ، وحرية الجماعة ، ولم تلبث ان حاولت الافادة من الادب الغربى فى الصور وفى الانماط معا ... فى شعر اسماعيل صبرى ظلال فرنسية باهتة ، وفى شعر شوقى محاولة لتقليد الغرب فى المسرحية الشعرية ، وكلاهما من ائمة الكلاسيين ...

ومن الصعب ان نرسم خطا فاصلا بين الكلاسية الجديدة من ناحية ، وبين الرومانسية فى نهضتها الادبية من ناحية اخرى . ذلك لان شخصية الفرد كانت تطل برأسها من خلال الاشكال والقواعد عند « البارودى » واسماعيل صبرى وشوقى وغيرهم ، بيد أن الاتجاه الرومانسى استكمل ملامحه وقسماته عند الاصدقاء الثلاثة : عبد الرحمن شكرى وابراهيم المازنى وعباس العقاد ... عندهم تحول الاحياء الى ترجمة ، فنحن نجد شعراء البحيرة الغنائيين فيما صدر عن هؤلاء الثلاثة ، وشعراء البحيرة هؤلاء ، هم أئمة الشعر الغنائى الانجليزى الحديث. ومع ان شكرى والمازنى والعقاد ، قد فتنوا بالادب الأوروبى ، وقلدوا الشعر الانجليزى ، الا انهم لم يستطيعوا الخروج على تقاليد الشعر العربى فى القالب والصياغة واللهجة . ونحن نجد فى دواوينهم محاولات صريحة لترجمة الشعر ، وهى محاولات قامت على ركنين اساسيين : الأول هو انتخاب المقطوعات التى تناسب قدرة المترجم وذوقه ، والثانى ، هو العمل على الاحتفاظ بجميع مقومات الشعر فيما يترجم ... والسؤال هو : الى اى مدى وفقوا فى هذه المحاولة ؟ ..

ولقد كشفت هذه المحاولة عن صعوبة ترجمة الشعر من لغة الى لغة اخرى ، والاجابة عن مدى توفيق هؤلاء الثلاثة فى نقل الشعر الى العربية تكمن فى المعيار النقدى الذى وضعه احدهم للحكم على الشعر بصفة عامة . فلقد قرر العقاد « ان الشعر الجيد فى لغة ، جيد فى لغة اخرى » اى ان مقومات الشعر ليست فى الشكل ولا فى الصياغة ، ولكنها فى المعانى والأخيلة والصور ، وما دام المترجم على بصر باللغتين الى جانب الشاعرية ، فانه يستطيع أن ينقل المقطوعة أو المطولة نقلا أمينا كاملا ... قد تكون فى أصلها الانجليزى أو الفرنسى مرسلة بلا قافية ، وقد تكون ثمانية الاقدام ، أو اسكندرية الايقاع ، ومع ذلك فالمترجم حر فى أن يصبها فى الوزن الطويل او البسيط او المتدارك مع التزام القافية بطبيعة الحال . وتدوير الشعر فى اللغة العربية يختلف عنه فى اللغة الانجليزية او الفرنسية ، ومن هنا تتباين علامات الترقيم التى تبين الوصل والفصل والوقف . وليس الامر مجرد كتابة ، ولكنه النبرة والمعنى والصورة . ومع ذلك استطاع المترجمون الرومانسيون الأوائل ان يتجاوزوا وحدة البيت الى وحدة الفكرة ، والى ما يقترب من وحدة الصورة . فهل تراهم استطاعوا ان ينقلوا الى المتذوق العربى كل ما يحمله الشعر المنقول ؟

ولا يســـتطيع ان يحكم على مدى التوفيق او الاخفاق الا رجل كابد الترجمة الأدبية وادرك انها اعسر بكثير من الترجمة العلمية . ذلك لأن المترجم مطالب فى مجال الأدب ان ينقل ظـلال المعانى الى جانب احساسه بمـا يمكن أن نسميه نظام التعبير فى اللغتين ... التى ينقل منها والتى ينقل اليها . واذا كان نقل الصـورة بكمـالها مجملة او مفصلة ممكنا ، فان ظل المعنى متعذر،وهو فى بعض الاحيان مستحيل . ونحن نسلم فى الوقت نفسه بان لبعض الصور دلالات تختلف من بيئة الى بيئة ، ومن شعب الى شعب ، ومن لغة الى لغة ، وقد يحتاج الأمر الى التفسير او التعليق ، ولكن ما القول فى موسيقى الشعر ! اهى مجرد قالب عام تصب فيه الالفاظ ، ام هى جزء من الدلالات الشعورية التى تحتاج فى توشيحها للشاعر ولغيره من ابناء جلدته الى ايقاع معين .

الواقع ان هذه المشكلة هى العقدة الاساسية فى ترجمة الشعر ، والواقع ايضا أن اللغة الانسانية على اختلاف الأقوام والشعوب ، انما تقوم بالنبر والجهر . ومن هنا كانت الموسيقى طابعا اصيلا فى اللغة الانسانية بصفة عامة ، ومن هنا ايضـا اتفق الناس فى بعض اسماء الأصوات والحركات اتفاقهم فى بعض الايماءات والاشارات التى تصاحب اللغة، وهم يتفقون فى هذا كله اتفاقهم فى السرور والغضب ... فى الضحك والبكاء ، وعلى الرغـم من هـذه الوحدة الانسانية يحتفظ كل شـعب بموسيقاه اللغوية التى تحكى مزاجه وثقافته وطبقته حكايتها لأصله ووراثاته . ومن خلال هذه الدائرة أيضا توجد الموسيقى اللغوية لكل شخصية ، بل لكل موقـف انسانى تواجهه هذه الشـخصية .... ومعنى هذا ببساطة ، أن الموسيقى ليست مخرجا من المخارج ... ليست حرف هجاء يضم الى حرف آخر ... ليست كلمة تنتظمها عبـارة ، ولكنها الطابع الانسـانى العام **أولا** والطابع القومى **ثانيا** والمضمون الثقافى **ثالثا** وشخصية المتلاقى وموقفه بعد ذلك ... الموسيقى هى المعنى ، وهى الموقف الشعورى فى آن واحد ... وموسيقى الشعر اذا كانت امتدادا لتقاليد كسلوك الانسان ، فانها فى الوقت نفسه شخصية الشـاعر ، وموقفه الذى يحفزه الى أن يصدر هذه المقطوعة او تلك ..... هذه المطولة او تلك ... هذه الملحمة او المسرحية او ما شئت من الانماط والقوالب ....

وكل من يتصـدى الى ترجمة الشعر من لغة الى لغة ، عليه ان يدرك الفارق بين موسيقى اللغة التى ينقل منها ، وتلك التى ينقـل اليها ، وعليه بعد ذلك أن يتقمص شخصية الشاعر الذى ينقل عنه ، وان يقـف معه فى نفس الزاوية وفى نفس الظروف التى تدفعه الى تحقيق الذات والموقف بالشعر ... قد يبدو الآن مستحيلا ، ولكنه فى الواقع ممكن وان كان صعبا ... والمثقفون جميعا يذكرون «فتزجرالد» الذى ترجم رباعيات الخيام الى اللغة الانجليـزية ... مع انه حولهـا الى خماسيات ، الا انه استطاع أن يقـدمها بفكراتها وخلجـاتها وظلال معانيها الى قراء الانجليزية ، ومن يتذوقها يجد ان موسيقاها الجديدة تناسبها ايضا .. كل الفارق يكمن فى اختلاف الموسيقى فى اللغتين : الفارسـية والانجليزية ، واسـتحق المترجم ، بهـذه الرباعيات التى نقلها مكانه فى الأدب الانجليزى ، وبهـذه الترجمة وحدها دفن مع العظماء والأعلام فى مقبرة " وستمنستر " !

وقد تبدو ترجمة الملاحم والمسرحيات الشعرية يسـيرة فى ظاهر الامر لما فيها من الاحداث المتتابعة والشخصيات المتكاملة ، والمحاورات التى قدت على الشـخصيات والمواقف . ولكنها فى واقع امرها صعبة عسـرة كالمقطعات الغنائية سـواء بسـواء . فالتوسع اللغوى يختلف من لغة الى لغة ، وكذلك الرمز ، وما اكثر الاخطاء التى وقع فيها بعض المترجمين ، المسرحيـات النثـرية ولا تقول الشعرية ، على الرغم من رسوخ اقدام المترجمين ، وليس يكفى أن يعتمد النـاقل على المعاجم التاريخية والشروح ، بل يجب ان يتقمص الشاعر والجمهور الذى قيل الشعر له ، وليس يكفى ايضا أن يتسـم المترجمون بالموهبة الفنية والقريحة الأدبية ، والرؤيا الشعرية ، وقد يكون المثل السائر فى تضـاعيف الملحمة ، او الحوار

التمثيلى ، رمزا واضحا فى عصر او لغة ، فاذا نقل الى عصر آخر او لغة اخرى ، اصبح تعبيرا مناقضا او مغايرا فى الدلالة او مضحكا ...

وموسيقى الشعر اذن هى الفيصل الحقيقى فى فن ترجمة الشعر ، ذلك لأن القالب العام يناسب اغراضا دون اغراض ، وهى حقيقة سجلها شعراؤنا القدامى ، وشرحها علماؤنا العروضيون . والحرية التى استشعرها المترجمون الرومانسيون الاوائل فى صب مايترجمون فى هذا الوزن أو ذاك ، تخرجهم عما ينبغى لترجمة الشعر بجميع مقوماته وعناصره ، فاذا اضفنا الى ذلك دلالة الموسيقى الداخلية فى الشعر على الانفعال ، وتدفق الشعور ومسايرتهما بالايقاع ادركنا أن ترجمة الشعر فن يجاوز مجرد النقل الى الابداع ... ان المترجم الحق للشعر يكابد من الحوافز والجهود ما يكابده الشاعر الخلاق، وهو يستحق ـ اذا استكمل هذه المقومات ـ مكانه بين المبدعين ...

دلالة الشعر الحديث :

وهكذا تفسر مشكلة ترجمة الشعر من لغة الى لغة اخرى ازمة الشعر الحديث بجميع ابعادها . ولسنا نقصد بهذا المصطلح « الشعر الحديث » نمطا معينا من الاوزان المستحدثة ، وانما نقصد ابداع الشعر بصفة عامة فى عصرنا هذا الحديث ... انه يواجه أزمة عالمية ، ولعل هذه الازمة فى الشرق الذى يستكمل مقومات نهوضه ، اضعف منها فى الغرب الذى يستشعر الضياع بتحكم المادة فى الانسان .. لم يعد الشاعر قادرا على مواجهة نفسه ، ولم يعد يستطيع ان يندمج فى الحياة وفى الطبيعة ... واصبحت اللغة عنده كالارقام فى الرياضيات ، والرموز المنقوشة على أوراق النقد . ويوم يعود الى ادراك الحقيقة : وهى ان اللغة هى انسانية الانسان التى يحقق بها وجوده والتى ينتزع بوساطتها البقاء ، والتى يدخل بها من الجزئى الى الكلى ، ومن الزائل الى الخالد ، فانه يستعيد القدرة على تسجيل هذه الانسانية بالشعر ... وكاتب هذه السطور يستشرف الايقاع المتوازن فى الحياة ، القادر على التخلص من الهبوط والتردى ، وهو التوازن الذى يستعيد به الانسان توازنه النفسى والعقلى ، يوم ذاك يصبح شعر كل الناس زادا لكل الناس ... ويوم ذاك تزول محنة الشعر الى الابد.

د. عبد الحميد يونس

الى وَلدى

للشاعر: على الشباسى

ابنى قد بسم الصباح وصار عيدك اغنيه
فى كل ثغر فى الحياة ... وفى البلاد القاصية
والحب عالق فى عيونك كل ايد حانيه
غرست بدربك زهرة فى قلب جيلك ناميه
لا .. لم يعد عبد .. ولا قيد يروع ندائيه
فالحب الحان معطرة بارضك صافيه
وشفاه شعبك غنوة قدسية بك شاديه
ابنى فى عيد المحبة عيد أسرتنا الحبيبه
والمجد يصرخ فى دمائك مثل أمواج رهيبه
لا تنس كهلا مثل عمرى شاقه ربع الوطن
ودموعه الحرى تعرت فى متاهات الزمن
كم شاقه ارض الجدود وشاقه أن يرجعا
للقدس .. للزيتون .. للربع الذى قد ضيعا
فغدا سيأتى عيدنا .. وغدا سنلقاها معا
وغدا ستكبر اسرتى وتصير أوطان العرب
وارى الحياة جميعها عيدا وحبا كاللهب
وتعود تبسم يا بنى لطفلك الغض الصغير
وتردد الماضى له .. مثلى أنا .. عبر العصور
فحياة شعبك قصة مكتوبة بين الصدور

عرب

للدكتور: فؤاد حسنين على

من اليسير على فقيه اللغة العربية واخواتها تتبع ثقافة شعوب شبه الجزيرة العربية والقارة الافريقية ، لأن هذه اللغات تكون وحدة تعرف عند المختصين باسم الاسرة السامية الحامية ٠

واذا دققنا النظر فيها وجدناها تحمل اسماء جغرافية مشتقة من الاقليم الذى انبثقت منه أو انتشرت فيه بخلاف العربية التى لا تعثر فيها على ركيزة جغرافية تعيننا على تحديد الوطن الذى بعثها ، سواء كان هذا الوطن آسيويا أم افريقيا وعاونها على الانتشار حتى تمكنت من فرض نفسها على كل الجزيرة لغاتها وأهليها ٠

فلفظ عرب كما عرفه المتقدمون من ابناء هذه اللغة عبارة عن كل واد غير ذى زرع ، ففى معاجمنا اللغوية العربية نجد لفظ (تعرب) مستخدما للتعبير عن الاقامة بالبادية ومن هنا كان لفظ (عرب) يفيد الجفاف والصحراء ٠ أما سائر المعانى الاخرى التى تطور اليها اللفظ منذ ظهور الاسلام فلا نجد لها مسندا جاهليا ، وهذا مما حدا بكثيرين من الباحثين امثال عالم الأجناس (جيرلند) واللغوى (تيودور نولدكه) الى ترجيح افريقية هذا الوطن ، لا آسيويته ٠

لكن من حسن الحظ جاءنا كثير من النصوص البابلية الاشورية والعبرية التى تعيننا على تحقيق هذا الوطن الأصلى لهذا الجنس العربى ففى الآية الثالثة عشرة من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر اشعيا نجد ما نصه بالعبرية ، بيعر بعرب تلينو أورحوت ددانيم ، اى فى غابة ــ باقليم ــ عرب تناموا يا قوافل الدادانيين ، (راجع كذلك ارميا ص ٢ ى ٦ و ص ٥٠ ى ١٢ وسفر نحميا ص ٢ ى ١٩ و ٠٠٠)

ومن اقليم (**عرب**) هذا هاجرت قديما القبائل التى هبطت وادى النيل قبل عصر الأسرات وامتزجت مع سكانه الاصليين ، ومن ثم انسابت الى شمال افريقيا وكونت هذه الشعوب التى تعرف باسم الشعوب الحامية ، نسبة الى حام أحد أبناء نوح ٠ واذا أردنا أن نتبين العلاقة الجنسية أو الثقافية بين الآسيويين الساميين والافريقيين الحاميين فما علينا الا أن ننتقل الى مصر لأنها وكما تسمى بحق القنطرة بين ابنى نوح عليه السلام ٠

فالدارس للغة المصرية القديمة والعالم ببعض اللغات السامية الحامية الاخرى يدرك لاول وهلة مدى « عروبة » اللغة المصرية القديمة ، فهى تتفق والعربية فى كثير جدا من خصائصها الصوتية والنحوية والصرفية واللغوية ففيها الهمزة والتثليث وصحة الفعل وعلته ، والصحيح فى المصرية القديمة هو الذى خلت أصوله من أحرف العلة وهى الالف والواو والياء والمعتل يكون مثالا وأجوفا وناقصا ولفيفا مفروقا ولفيفا مقرونا ٠ وما يقال عن الصوت

والفعل . يقال ايضا عن الضمائر والعدد وكثير من المفردات اللغوية .

ولا شك في أن الفضل الأكبر في الكشف عن هـذه الحقائق يرجع الى العلامة الألماني (كورت زيته) صاحب الايادي البيضاء على علم المصريات وبخاصة اللغة .

وعبر الهجرة الى وادي النيل نجد هجرة اخرى يقوم بها الكنعانيون، او كما يطلق عليهم الاوربيون، الفينيقيون من وطنهم الأصلي أعني هـذا الجزء من سوريا ولبنان الممتد على البحر الابيض فيما بين النهر الكبير وجبال الكرمل . وقد اشتهر أولئك العرب الكنعانيون منذ الألف الثاني ق.م. بالملاحة والتجارة فاستعانت بهم شعوب كثيرة سـواء في قيادة الاساطيل التجارية أو الحربية فاستخدمهم (سنحريب) و (بسـماتيك) و (نيخـو) و (اجزيرسيس) و (الاسكندر) . ويحدثنـا هيرودوت ان هذا الاسطول العربي الكنعاني طاف حول افريقيا في القرن السابع ق.م. واذا ذكرنا أولئك العرب الكنعـانيين يجب ألا ننسى هـذه الأسـفار البحرية الموفقة التي مسحوا بها البحر الأبيض المتوسط . ومن ثم توغلوا في غرب أوربا فبلغوا انجلترا وايرلنده بعد ان طافوا بفرنسـا واسـبانيا وغرب القـارة الافريقية وكانوا في اسفارهم يعنون بنشر التجارة والثقافة والعقائد . فالتاريخ يحدثنا ان أسطولهم التجاري كان يخرج من صور متجها شمالا محاذيا آسيا الصغرى مارا بجزيرة قبرص ، ومن ثم يعرج على انطاكية وهكذا يمخر عباب البحر حتى يبلغ رودس فجزيرة كريت فبلاد اليونان ومنها يخرج خط ملاحي الى شـمال افريقيا مارا بطرابلس وغيرها من الموانى .

اما الخط البحري الثاني فيخرج من اليونان الى جزيرة مالطة فصقلية فقرطاجنة ملتقى خطوط الملاحة البحرية في غرب البحر الأبيض المتوسـط فيسير خط الى اوستيا ميناء روما وآخر الى سردينيا فجزائر البليار فالشاطئ الشرقي لاسبانيا المطل على البحر الأبيض المتوسط حيث توجد قرطاجنة الجديدة ثم يعبر بوغاز جبل طارق الى قادس ويمخر المحيط شمالا متجها الى فرنسا فشمال أوربا وغربها . ومن قرطاجنة يتجـه خط ملاحي اخر يسير على محاذاة الشاطئ الافريقي مارا بنوميديا وموريتانيا ثم يعبر بوغاز جبل طارق الى المحيط الاطلسي زائرا الشاطئ الغربي للقارة الافريقية .

وقد ظلت صور الميناء الاولى في تاريخ البحرية العربية حتى بعد ظهور الاسلام ومنها كانت تخرج سفننا التجارية والحربية لخدمة أهدافنا الاقتصادية والعسكرية ، وقد حفظت لنـا كتب الأدب العربية القصيدة التي قالها الاعرابي لما اغزا الوليد بن يزيد الاسود بن بلال المحاربي البحر :

اقـول وقد لاح السـفين ملجلجا
وقد بعـدت بعـد التقرب صـور

وقد عصـفت ريح وللموج قاصف
وللبحر من تحت السـفين هـدير

الا ليت هجرى والعطـاء صفا لهم
وحظى حظوط فى الزمـام وكور

وقد استتبعت هذه السيادة البحرية قيام بعض القواعد على طول الطريق الذي يجوبه هذا الاسطول ومن اشهرها صقلية ومالطة . وفي القرن الثاني عشر ق.م. ظهرت قاعدة (ليكسوس) في موريتانيا بالقرب من الرباط الحالية ثم قادس وأوتيكا و أوزا وقرطاجنة مع ملاحظة ان معظم شمال افريقيا كان ارضا كنعانية عربية جنسا وثقافة ولغة . واذا ذكرنا قرطاجنة يجب ألا تغيب عنا الاشـارة الى الدور السـياسي الهام الذي لعبته في توجيه السـياسة العالمية وبخاصـة (حنيبعل = حنانك يا بعل ـ الله ـ) والذي ينطقه كثيرون (هنيبال) خطأ .

والذي يهمنا من هذا العرض هو اثبات تغلغل العنصر العربي الاسيوي في افريقيا منذ قرون بعيدة ق.م. وقد ظلت هذه البلاد مؤمنة بعروبتها بالرغم من ضياع سلطانها السياسي واستيلاء الرومان عليها اولا ، المستعمرون الاوربيون ثانيا وظلت بقايا اللغة الكنعانية العربية القديمة حية حتى جاءت الهجرات الاسلامية فانتشرت في هذا الوطن العربي القـديم وانقذت الجنس واللغة والعقائد من الضياع . ولعل خير مثال يساق لتاييد هذا الراى جزيرة مالطة ، فقد ظلت محتفظة بكثير من بقـايا اللغة الكنعانية حتى استردها العرب ثانية في اغسطس ٨٧٠ م واستولوا

عليها بعد ان حرروها من البيزنطيين · وقد عثروا فيها على بقايا معبدين كنعانيين احدهما للاله (ملكرت) والثاني للآلهة (عشترت) · وتسامح العرب المسلمون ، كشأنهم في سائر البلاد المفتوحة ، مع سكان مالطة الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية على يد بولس الرسول عام ٦٠ م فامنوهم على عقيدتهم ·

وما زال أهالي مالطة حتى يومنا هذا يتكلمون لهجة عربية مسيحية مع بعض المفردات الصقلية ·

وظلت مالطة تحت السيادة العربية حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي ·

ولم تكن شبه جزيرة سيناء هي القنطرة الوحيدة بين آسيا وافريقيا ، فالتاريخ يحدثنا أن قبائل عربية جنوبية عبرت باب المندب ق·م· واستوطنت البلاد المعروفة اليوم باسم بلاد الحبشة نسبة الى القبيلة العربية الجنوبية (حبشت) التي نقلت معها الى القارة الافريقية ، عدا اسمها ، اللغة والدين وسائر عاداتها وتقاليدها · وقد ظلت اللغة الحبشية أو الجعزية اى لغة الأحرار حية متداولة حتى القرن الرابع عشر الميلادي ومن ثم سجنت في الكنيسة وحلت محلها الحبشية الحديثة والمعروفة اليوم باسم الامهرية وهي اللغة الرسمية للبلاد ·

والآن بعد هذا العرض الشامل للعرب والوطن العربي نتساءل هل لدينا عناصر أخرى غير اللغة والجنس تلقى شيئا من الضوء على عروبة هذا الوطن الافريقي الاسيوي وان كان الجواب ايجابيا فما هي ؟

الواقع ان خير حكم نرجع اليه للاجابة على هذا السؤال ، العقائد الدينية العربية سواء كانت آسيوية أم افريقية ، فالديانة المصرية القديمة وبخاصة ماوصلنا منها تقدم لنا صورة لاتختلف كثيرا عن تلك التي نعرفها عن الوثنية العربية الاسيوية وبخاصة فان كتبنا الدينية المقدسة من موسوية ومسيحية واسلامية تكاد تدور حول مصر وعقيدتها فمصر ليست مهبط ديانات وادي النيل فحسب بل منها خرجت الشعلة الأولى التي أضاءت منطقة البحر الابيض المتوسط ، ومن ثم زحفت حتى بلغت جرمانيا في قلب أوربا وايرلنده في غربها بل شملت الشرق الأدنى أيضا · لقد آوت مصر ابراهيم الخليل ومن ثم حنت على يوسف عليه السلام الذي وفد عليها كما تحدثنا الكتب المقدسة ، عبدا فاعتق ثم أخذ يتسلق سلم المعالي صعدا ثم طمع في خزائن الأرض فاجابه فرعون الى رغبته · وبعد أن تمكن يوسف من الحكم استدعى اباه يعقوب وسائر افراد أسرته وتوافد الاسرائيليون على البلاد حتى اضطروا الى الخروج منها ·

والآن نتساءل عن الرجل الذي يقال انه خرج ببني اسرائيل من مصر من هو وماذا كان يريد موسى مصرى المولد والاسم والنشأة · هذا ما أجمعت عليه المصادر الدينية التي بين أيدينا ، وما أجمعت عليه أسفار العهد القديم والقرآن الكريم حق لا مجال للشك فيه · وتحدثنا الكتب المقدسة أيضا ان موسى « تهذب بكل حكمة المصريين » (راجع سفر أعمال الرسل ص ٧ ى ٢٢) فما هي حكمة المصريين التي تهذب بها موسى ؟

ليس من العسير أن نجيب على هذا السؤال وبخاصة فهذه الاجابة لا تعدو الحديث عن دياناتنا العربية الوثنية الاسيوية الافريقية · فمن حسن الحظ ان اهتدى العلماء الى ما يسمى تجاوزا « كتاب الاموات » ، وهو عبارة عن مجموعة من النصوص والتراتيم الدينية والحكم والامثال التي كان يحرص المصرى القديم على رسمها على جدران قبره ، ومن ثم مع توالي الزمن دونت على ورق البردى ووضعت مع الميت · وشأن هذه التراتيم وتلك الحكم شأن بعض آيات القرآن الكريم ، وما اليها التي تكتب الآن على جدران مقابر المسلمين · فهذه النصوص هي الدليل الذي يأخذ بيدنا الى عالم الموتى فيطوى العصور طيا وينتقل بنا بين المصرين الشمالية والجنوبية فهو يعرض لنا عبادة (آمون) في طيبة واوزيريس في مصر السفلى وآتون في تل العمارنة ·

وقد جاءنا من مصر القديمة الشيء الكثير من القصص والآداب والحكم والأمثال التي نجد صداها في كثير من الكتب الدينية التي اتصل أصحابها بالمصريين مباشرة أو غير مباشرة · ولعل أغزر مادة وصلتنا من مصرنا هي تلك التي تتصل بعقائد المصرى وطقوسه ، فقد أدرك المصرى أن دينه هو أسمى دين على ظهر الأرض وشاركه في هذه

العقيدة اليونانى الذى قرر أن الدين المصرى القديم هو اكسير الحكمة والتفكير العميق ، لذلك انصرف علماء اليونان الى دراسة هذا الدين والعناية به ٠

والسؤال الذى يتبادر الى اذهاننا هو هل الدين المصرى القديم دين واحد ام عدة أديان ؟ وهل الديانات المحلية التى كانت منتشرة فى المراكز المختلفة هى صور لأصل واحد شانها فى ذلك شان الأولياء والقديسين اليوم ؟

اختلف العلماء بادىء ذى بدء عند الاجابة على هذا السؤال ، وجاء كل فريق بحججه ، والواقع أن الفصل فى مسألة الخلاف هذه يتطلب قبل كل شىء الاجابة على سؤال آخر يتصل بطبيعة الدين المصرى القديم فهل هو دين توحيد أم تعدد آلهة ، وان المظاهر الكونية المختلفة من رعد وبرق ونور ونجم وقمر وشمس وماء وسماء ، ما هى الا الاعراض والمظاهر التى تتجلى فيها عظمة الله وقوته ، فهى مظاهر صفاته ومدلولات اسمائه الحسنى وان بدت احيانا فى هيئة آلهة عديدين وكل منهم يمثل صفة من صفات الاله الواحد ٠ كان المصرى يجد الهه فى جميع كائنات الوجود فى السماء والأرض فى المياه فى الجنوب والشمال فى الشرق والغرب فى المدن والأقاليم ٠ فالمصرى حيث يتلفت يجد آلهه هو فى أمس الحاجة اليها ، لذلك كان بصيرا بكل ما حوله من سائل وجماد ، حيوان ونبات ٠ لكن الاله الأعظم الذى احتل أرفع مكان وفى مختلف العصور والأقاليم هو رع = الشمس ٠ وقد عبد فى كل بقعة وان كان بأسماء مختلفة ، ورع لايقيم على الأرض مع عباده شأنه شأن الآلهه المحليين بل كان يحلق فى فلكه فى السماء ، ولا عجب فقد كان مانح الحياة لجميع الكائنات ، وسيد فصول السنة وحامى مصر ٠ رع هو النور الذى يبدد غياهب الظلمات وهو فى كفاح دائم كل مساء مع الظلام ومن ثم فهو الذى يطلع على الكون كل صباح ٠

ولكن عبادة رع هذه تطورت ولاءمت بينها وبين المجتمع فأخذت تتغلغل فى الجنوب فنجد (آمون رع) و (سوبيك رع) وظل الحال كذلك حتى جاء الهكسوس فى أعقاب الاسره الثانية عشرة وظلت عبادة (آمون رع) كما هى وتحررت مصر من العدو الخارجى فعظم نفوذ (آمون) واصبح كهنة آمون فى طيبه يكونون خطرا يهدد سيادة فراعنة الاسرة الثامنة عشرة فتجاسر (امينوفيس الثالث) وقاوم نفوذ كهنه امون رع وبلغ به التطرف فى مقاومة عبادة امون رع ان محا أسمه من معظم الاثار التى امتدت اليها يده ٠ولم يقف الامر عند ذلك بل نجد الفرعون الشاب (أمينوفيس الرابع) يغير اسمه لاشتماله على لفظ (آمون) وتسمى باسم «اخناتون» أى (زوج قرص الشمس) ولم يكتف بهذا بل نقل عاصمته من طيبة مركز عبادة آمون ومعابده الشامخة الى المكان الذى يعرف اليوم باسم تل العمارنة بعد أن شيد فيه المدينة الجديدة «أخيتاتون» ٠ وهذه الثورة العقائدية الدينية لم تكن سلبية كما قد يتبادر الى الأذهان ، وقصد بها القضاء على عبادة آمون ، بل خلقت عقيدة جديدة هى عقيدة التوحيد ، وقد كانت الأولى من نوعها ، فكان اخناتون أول رجل فى العالم جاءنا على لسانه التوحيد ٠ لقد قاوم اخناتون العبادات المصرية القديمة لأنه اعتبرها وثنية اذا ما قورنت بالدين الجديد الذى أرسله الله لنشره وعلى كل فان اخناتون لم يعمر طويلا ، وتوفى ولما يمض على جلوسه على عرش الفراعنة أكثر من سبعة عشر عاما وترك الحياة ولم يترك وليا للعهد فارتد كثيرون بسبب نشاط كهنة طيبة وطويت بوفاته صفحة من أمجد الصفحات التى خلفتها الانسانية واضطرت جامعة (أون) (عين شمس) والتى خرجت للعالم عددا كبيرا من المفكرين ومن بينهم موسى عليه السلام الى الاقلال من نشاطها العلمى لمناصرتها للدين الذى بشر به اخناتون اذ كان علماؤها فى أبحاثهم يستكملون فكرة الاله العالمى واظهار خواصه فهو اله الحق والصدق والنظام والعدالة ٠ (يتبع)

د ٠ فؤاد حسنين على

زكي مبارك

في مناسبة ذكراه

بقلم: أحمد الصادق عبد الصمد



من كان يظن أن الأديب الذى ظل خلال النصف الأول من هذا القرن مل، حياتنا الأدبية والذى لم يسترخ قلمه الى الراحة يوما منذ ان أمسك بيده القلم ، والذى كان الفارس المغوار فى معاركنا الأدبية ، ولم يغمد له قلم ، ولم تهزم له معركة ، والذى كان عملاقا شامخا لم يتهيب موقفا فى كل صولاته وجولاته ، والذى كان فى حلبات الجدل قوة لم تعرف الوهن ، ولم تسلك سبيل الاستسلام .. من كان يظن أن مثل هذا الأديب ننساه ولا نكاد نذكره ، ونتغافل عنه ولا نكاد نحس به ، ونتجرد من الوفاء له ، وهو الذى عرف فى حياته الوفاء لأصدقائه وأعدائه على السواء ، وانصاره ومعارضيه معا ... واذا كانت الرسالة فى عهدها الحاضر تحيى اليوم ذكرى المغفور له الدكتور زكى مبارك ، فان ذلك ليس الا وفاء منها للرسالة فى عهدها الغابر ، فطالما حفلت صفحاتها بادب زكى مبارك ، بل حفلت باعنف معاركه الأدبية ومساجلاته الجدلية ، مع عمالقة الأدب وأقزامه فى مصر وغيرها من بلاد العروبة والاسلام ..

ولد محمد زكى عبد السلام مبارك عام ١٨٩١ فى قرية سنتريس احدى قرى محافظة المنوفية ، وحفظ القرآن الكريم ، وتعلم القراءة والكتابة بمكتب القرية ، ونزح الى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف ، وتلقى علوم العربية والثقافة الاسلامية على علمائه ، وكان زكى مبارك فى شبابه طموحا ، دفعه هذا الطموح الى أن يلتحق بالجامعة المصرية فلما كان لا يمكن لمثله ان يلتحق بها الا اذا كان ملما باحدى اللغات الأجنبية الماما تاما لهذا كرس ثلاث سنين من حياته لتعلم اللغة الفرنسية فاتقنها ووقف على آدابها ، وبهذا تم له ما أراد والتحق بالجامعة المصرية فى سنة ١٩١٦ وأثناء التحاقه بالجامعة قامت الحركة الوطنية فى سنة ١٩١٩ فشارك فيها مشاركة فعالة بخطابته وشعره .

وفى سنة ١٩٢١ نال ليسانس الآداب من الجامعة المصرية ، ولكن زكى مبارك كما قلت سابقا كان طموحا ، دفعه هذا الطموح أيضا الى الاستزادة من الاغتراف من مناهل العلم للحصول على مرتبة علمية اعلى فجاهد وجالد حتى يصل الى ما يبغيه فتقدم الى الجامعة باول رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه ، وكان موضوع الرسالة « الاخلاق عند الغزالى » فنال درجة الدكتوراة فى سنة ١٩٢٤ ، وشغل عمل التدريس بالجامعة المصرية . وزكى مبارك كان شغوفا بنيل الدرجات العلمية ولهذا رحل الى باريس والتحق بجامعة السربون وتقدم برسالة لنيل درجة الدكتوراه كان موضوعها « النثر الفنى فى القرن الرابع » فنال درجة الدكتوراه الثانية فى سنة ١٩٣١ وعاد الى مصر ليشتغل بالتدريس بالجامعة ، وفى سنة ١٩٣٧ تقدم الى الجامعة المصرية برسالة جديدة لنيل الدكتوراه للمرة الثالثة وكان موضوع هذه الرسالة هو « التصوف الاسلامى » وتم له ما أراد ونال الدكتوراه بمرتبة الشرف ثم ندب ليشغل عملية التدريس بدار المعلمين ببغداد ، وله فيها ذكريات وذكريات ، سجلها فى مؤلفات ثلاث هى « ليلى المريضة بالعراق » فى ثلاثة أجزاء ، و « وحى العراق » ، و « ملامح المجتمع العراقى » .

وعلى الرغم من ان زكي مبارك انتاجا ادبيا ضيما مطبوعا يربو على العشرين كتابا فان شهرته الادبية اعتمدت اساسا على مقالاته في الصحافة الادبية واخصها الرسالة ، حيث تجلى فيها باعنف معاركه التى اثارت خصومه ، واوغرت صدورهم عليه ٠

ومعارك زكي مبارك مع الأدباء لم تتوقف ، وكأنما اتخذ من الصراع شعارا له في حياته الأدبية ، حتى اذا خلا الجو من اسباب المعارك ، اختلق لها الأسباب وفرض على نفسه ان يكون احد طرفيها ثم انبرى لها بقلمه ، وقلم زكي مبارك اتخذ العنف شعارا له في مساجلاته ومجادلاته ، وكأنما قد هذا القلم من صخر ، فهو يساير مصدره ولا يحيد عنه ، ومقالات زكي مبارك لم تكن تحفل الا برأى جرىء ليثير المعارك حوله، فكم ارهق بآرائه الحرة أقلاما ناصبته العداء، وصمد أمامها قلمه لانه لم يكن يعرف للاستسلام معنى ٠ اذكر أن زكي مبارك كتب مقالا على صفحات الرسالة تحت عنوان : « النواحى الانسانية في الرسول » جعل بعض المجلات الدينية يعبىء الأقلام العديدة لمناقشة مقاله عاما باكمله ، حتى كلت الأقلام وجف مدادها ٠

لقد أتعب زكي مبارك معاصريه في كل ما الف وفى كل ما كتب في الصحف ، وحتى رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الى الجامعة عن التصوف الاسلامى ، اتعبت الأساتذة الذين تولوا مناقشتها ، فاضطروا الى حذف جانب منها وهوالخاص بالمدائح النبوية،حيث اتهموا بصلتها بالتشيع، كما اثارت رسالته الأخرى: « الأخلاق عند الغزالى » متاعب لمناقشتها من أساتذة الجامعة الكبار ، وفى هذه الرسالة هاجم بعنف الامام الغزالى حتى تصدى له الاستاذ القسان لمناقشته ، وحتى تدخل المغفور له الدكتور منصور فهمى رئيس اللجنة ليضع حدا للمعركة ، وكان رأيه أن الرسالة الجامعية محاولة عقلية يخطىء فيها الطالب ويصيب، وذلك لا يمنع من نجاحه بدرجة مشرفة ، وحتى انتقلت المعركة بعد ذلك الى خارج الجامعة ، وتولى زكي مبارك مناظرة الاستاذين الشيخ يوسف الدجوى والشيخ أحمد مكي وغيرهما من كبار العلماء، وكانت معركة ما بعدها معركة ٠ وفى بقية مؤلفات الدكتور زكي مبارك ، لم يكن يسلم مؤلف واحد من اشتعال المعارك حوله ، كالنثر الفنى في القرن الرابع في جزأين ، وحب ابن أبي ربيعة وشعره ، وليلى المريضة بالعراق في ثلاثة أجزاء ، ووحى بغداد ، وملامح المجتمع العراقى ، والموازنة بين الشعراء ، وعبقرية الشريف الرضى في جزأين ٠

***

وبعد ــ فان حياة الدكتور زكي مبارك كانت أشبه بالمأساة في قالب ملهاة ، فقد صنعه البؤس على عينه في نشأته ، وذاق من مرارته كاسا دهاقا وهو يشق لنفسه طريقا وسط الصخر المستعصى على اللين والاستسلام ، وضحكت له الدنيا وابتسمت له الحياة في ريعان شبابه وردحا من مرحلة كهولته، ولكن الدنيا حين تضحك لانسان ، والحياة حين تبتسم له ، فكأنما ييسران له التلهى بهما ليس الا ، ثم عادت الدنيا وتابعتها الحياة يتجهمان له،ويعبسان في وجهه ، وتفسحان الطريق للبؤس ليأخذ مكانه فوق صدره وعقله معا ، فكانت نهايته تعبيرا عن نشأته ومدلولاتها ، وهذه سنة الله في خلقه : كما بداكم تعودون ٠٠!

انتهت حياة زكي مبارك في اليوم الثالث والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ ، في زحمة الحياة وصخبها وضوضائها ، كما عاش قلمه في ضوضاء المعارك الأدبية الصاخبة ، مع فارق كبير ، هو أن قلمه فرض على الدنيا من حوله أن تحس به ، وأن تستمع له ، أما نهايته فقد فرضت على نفسها الا يحس بها أحد ، والا يكترث بها كائن حى ٠٠

انتهت حياة زكي مبارك ، ولو امهله الموت ليقول كلمته الأخيرة يودع بها الدنيا ، كما تودع انفاسه الأخيرة الحياة ، لردد من شعره :

ستذكرنى مصر وما كان قلبها
سوى صخرة في جانب النيل ملساء
الى الله أشكو لؤم دهرى وصرفه
وعند الاله البر أودع حوبائى

أحمد عبد الصمد دياب

أصنام الأدب

بقلم : أنس داود

اذا كان قراء العربية ـ عندنا ـ على معرفة تامة بكتاب « الغربال » لميخائيل نعيمه .. فانه لم يكن الاثر الوحيد فى تراث المهجر النقدى .

فقد عرف الادب المهجرى الفصول النقدية الطويلة ، والمقدمات الدارسة لدواوين الشعراء ، وعرف أيضا كتابى « المنقار الاحمر » لشكر الله الجر و .. « ثورة فازان فى معلقة الارز » لمحمود الشريف ، فى البرازيل ، كما عرف كتاب « اصنام الادب » لالياس قنصل فى الارجنتين .

والياس قنصل متعدد فى مناحى انتاجه الادبى .. فهو ناقد وشاعر وقصاص .. هاجر عام ١٩٢٤ وهو فى العاشرة من عمره ، وسلك نفس السبيل التى سلكها الآلاف من أبناء وطنه ، كفاح شاق فى سبيل العيش طيلة النهار ، ودأب على الدراسة جزءا غير يسير من الليل .. حتى اشتغل بالصحافة وانقطع للعمل الادبى والنضال فى سبيل العروبة ، و « اصنام الادب » الذى اصدره عام ١٩٣٩ هو خطوة على الطريق المهجرى الاصيل ، طريق الثورة على الشعر التقليدى ، والمعانى المبتذلة ، والصور المفتعلة ، وقصور الادعياء عن تمثل التجارب الحية ، والنفوذ الى اسرار الكون .. ومن ثم فهى دعوة حارة الى صدق الاحساس ، ودقة التعبير ، وعمق التجربة ، وتوثب الخيال ..

رأى الكثيرين من شعراء مهجره ـ الارجنتين ـ يسيئون فهم الخيال ، اذ يحسبونه مبالغة لا يقرها المنطق القويم ، ومغالاة لا يقبلها العقل السليم .. فدعاهم الى أن يميزوا بين الخيال والمبالغة قائلا :

« ميزوا بين الخيال والمبالغة .. لا تحاولوا ان تفرضوا علينا أفكاركم بالكذب ، فالكذب لا يقنع احدا ، وانما يقنع الصدق فى الاحساس ، والصدق فى الشعور »

ورأى أن عقم الموهبة قد يطوح بصاحبه فى واد بعيد ، فيجلد قريحته ـ على حد قوله ـ فى تصيد التشابيه الزائفة ، والصور المتدثرة بثياب غريبة « فاذا حبيبته قد خلقها اله غير الاله الذى نعرفه ، واذا دموعه تجرى كالانهر ، واذا بدعائم الكرم والجود تهوى بموت صديق له ، واذا بالملائكة تتهلل فرحا فى السماء لولادة صبى لنسيب له ، واذا افكاره جميعها تجرى على هذا النسق العجيب »

وقع صاحب « اصنام الادب » على السبب الصحيح الذى يدفع امثال هؤلاء الشعراء الى تلك المبالغات الكاذبة ، وهو نضوب الشاعرية ، وانعدام التجربة الحية فى حياة الشاعر .. يقول مستخفا :

« ضحكنا حين رأينا الشاعر ميشال مغربى يحاول ان يكون بعيد الخيال ، فلا تسعفه شاعريته ، ويأتينا بصورة بليدة على غرابتها ، جامدة على مافيها من المغالاة .

يقول مغربى واصفا حبيبة مريضة :

بروحى أفدى فى السرير مريضة
وددت لو انى فى الورى دونها مرضى

وقد عقد مقارنة لطيفة بين هذا البيت وبين البيت المشهور :

يقولون ليلى فى العراق مريضة
فياليتنى كنت الطبيب المداويا

فرأى فى هذا البيت صدقا فى الاحساس ، وبساطة فى التركيب ، ورأى أن عظمة هذا البيت تتمثل فى تلك الأمنية الانسانية البسيطة التى ربما ينالها من يحب وهى أن يجلس بجانب حبيبته فى مرضها ليحنو عليها ويداويها ، وتلك آية الحب الصادق العميق ، أما ميشال مغربى فقد تمنى شيئا « لا يقدر على بلوغه رجل ، وهذا هو الفرق بين المبالغة العقيمة والخيال الوثاب »

اما اسلوب الياس قنصل فى نقده ، فتشوبه السخرية اللاذعة ، والتهكم المر ، فحينا يرسم صورة كاريكاتورية لجسم احد منقوديه الضخم وبطنه المنتفخ ، وذراعيه المفتولين .. ليقرر انها صورة لمخلوق حرم ـ بالطبيعة ـ من موهبة الشعر فكل ما يصدر عنه بعد ذلك انما هو من قبيل الادعاء ..

وحينا آخر يسلق الشاعر نفسه بعبارات حادة

لصورة ملفقة ، او مبالغة ممقوتة . لان همه من الكتابة فى النقد ـ كما قال ـ ان يطهر جو المهجر الشعرى من الادعياء ..

فحين يقول شاعر انه جن من ابتسامة ساحرة لاحت على ثغر احدى الجميلات يقول له :

« من المعقول ان يلتذ الانسان بابتسامة ترسلها اليه ذات دلال ، ومن المعقول أن يعتبر هذه الابتسامة استهلال عهد من الصداقة بينه وبينها ، ومن المعقول ان يعود الى اصدقائه فيثقل عليهم بأحاديث الابتسامة ، ولكن ليس من المعقول انيجن المرء لابتسامة مهما كان متزعزع الاركان »

ثم يقول ساخرا ، فيذكرنا بسخريات «الرافعي» فى كتابه اللاذع « على السفود » :

« ليتنا نعرف المراة التى سببت هذه الجناية ، اذن لانتقمنا منها انتقاما فظيعا ، وذلك بأن نتلو عليها هذه الابيات »

لكن هذه السخرية اللاذعة التى غلف بها كتاباته لم تشغله عن ارساء قيم نقدية نستطيع ان نقول انها قيم اصيلة ورائدة ..

لقد اعتبر ان نقل الواقع والتصوير الفوتواغراقى له ، ليس مهمة الشاعر ، وكل من اطال النظر فى الشعر العربى يعرف خطر الثورة على التصوير الشكلى للواقع ، أو التجربة الحسية ـ فحسب ـ للانسان والطبيعة معا .. فتراث العصر الجاهلى بما ينوء به من هذه النزعة الشكلية الحسية قد اثقل كاهل الشعر العربى فى كل عصوره ، وجعله يمس سطح الاشياء ، ولا يتغلغل فى اعماقها .. فالمراة فى معظم تراثنا جسد ، والطبيعة لوحة جامدة ، وهذا مجمل ما يراه مفكر رصين كالمرحوم احمد امين من جناية الشعر الجاهلى على الشعر العربى .. لذلك حمدت لالياس قنصل ان اعتنى بالبحث عن مهمة الشاعر ، وان كانت تلك المهمة لديه :

« ان يتغلغل الى صميم الحياة فى الشىء الذى يصفه لنا ، فيطلع علينا بصورة تجعل نظرتنا الى هذا الشىء اعمق واجمل »

وكان الشاعر الحقيقى فيما يرى هو « الذى يقدم لنا تأملات نفسه بعد غوصه الى أعماق الحياة، فيجلو لنا ناحية من فكره حتى نراها اجمل او اقبح او اعظم أو اسخف مما كنا نراها قبل ان يمن علينا القدر بمطالعة القصيدة التى سالت بها يراعته »

وهو الذى يبدو وكأنه يتمتع بعيون غير عيوننا ، فيرى فى الوجود مالا نرى ، ويسمع ويحس مالا تسمع ولا نحس به ، أى أنه الذى جعل موهبته فى مكان قيادة الاحساس الانسانى وتفتيحه على مظاهر الوجود ، وتنبيهه الى ادق خفاياه ، واعمق اسراره

بهذا الفهم لمهمة الشعر ولمهمة الشاعر معا ، ووظائف اللغة والخيال والصورة فى العمل الشعرى يكون الناقد الياس قنصل قد رسم ملامحه كناقد اصيل ، ولكن ثمة ملمح آخر ، سيزيد شخصيته وضوحا ، فقد نبتت فى المهجر **ـ كما تنبت الاعشاب السامة اليوم فى لبنان ـ** فئة محرومة من مواهب القول ، فجعلت عجزها فى اللغة قاعدة ، وقصورها عن البيان مذهبا ، وركاكتها الاسلوبية وافتقارها الى تذوق موسيقى اللغة الشاعرة تجديدا ، ومضت تحاول تخريب كيان الشعر العربى بكسر اوزانه ، والخروج عن مقوماته الموسيقية .. فتصدى لهم الياس قنصل بسخرية «رافعية» . ومنطق «عقادى» ومما قاله :

«يفاجئك صاحب «المتمردات» بقوله : انه متمرد .. والتمرد فى عرفه هوأن يكسر الوزن اذا لم يستطع لسبب من الاسباب أن يقومه، وهو يردد على مسمعك أن الاوزان الشعرية قدأكل الدهر عليها وشرب، فاذا قلت له انه مصيب فى ذلك : ولكن الواجب ـ واجب التمرد والتجديد ـ أن يخترع المرء وزنا جديدا يسير عليه فى كل أبياته استعرضك بقهقهته المعهودة»

وبهذه الكلمات يكون الناقد الياس قنصل قد شجب هذه المحاولات الطائشة التى تريد أن تدمر نظام موسيقى الشعر العربى ، دون أن تحس بأن واجبها حينئذ أن تقدم نظاما موسيقيا آخر ، وهذه هى دعوة التجديد الحق عن هدى وبصيرة ، تضع القاعدة مكان القاعدة ، وتقيم جديدا حين تهدم قديما .. وتعى مسئوليات البناء فى نفس الوقت الذى تريد فيه الهدم ..

وأهم عيوب هذا الكتاب ـ فيما ارى ـ انه يتناول مجموعة من أدعياء الشعر فى المهجر ، وممن كانت الصحف تضفى عليهم ـ هناك ـ من صفات العبقرية والنبوغ بقدر ما كانت تفيض به اكفهم على محرريها

ولو أن الكاتب بذل جهوده فى نقد عبقريات الشعر المهجرى ، وتفسير روائعه لأخصبت كتاباته .. وتفتحت ابعاد جديدة لشخصيته الناقدة ..

ولكنه جعل همه ـ كما قلنا آنفا ـ أن يطارد الادعياء ، وأن ينقى جو الشعر المهجرى من الشوائب .

« انس داود »

الفلسفة والثورة

بقلم : عبد الفتاح الديدي

هذه الكلمة يجب أن تقال هذا الموضوع هو الذى يشغل بال الكثيرين · نحن نواجه الآن رغبة حادة فى استقصاء فرع من فروع الفلسفة لنجعله نموذجا حيا فى التفكير ومثلا واضحا أمام الجموع العربية المتحركة نحو عالمها الجديد · لا شك اننا جميعا نرغب فى أن نرى نوعا من الفلسفة يخترق عقول الناس وأفهامها من أجل التوعية والايمان والاجتماع حول معنويات الحياة · هذا هو أملنا نحن المشتغلين بالفلسفة وهو حاجة طبيعية تلقائية فى نفسيات الأفراد والجماعات من غير المشتغلين بالفلسفة ·

لا يعنى هذا بطبيعة الحال ان هناك رغبة فى فرض نوع معين من أنواع الفلسفة على الجماهير العربية المتطلعة الى حياة متكاملة من حيث المعاش والتفكير سويا · لا يعنى هذا أننا نود القيام بعملية اختيار لاحدى الفلسفات كيما تصبح فلسفة الجموع ونرفض بعد ذلك ما عداها ونقصر الفهم والعمل والتفكير على هذه الفلسفة كما هو الحال فى الاتحاد السوفييتى· انما نريد أن نجعل من احدى الفلسفات نوعا من المران العقلى الملائم لطبيعة الفكر العربى ونوعا من الايمان الوجدانى لدى شبابنا المتطور مع وثبات الثورة ونوعا من التجاوب مع جميع أوضاعنا وظروفنا وآمالنا · ولا يعنى انتقاء مثل هذه الفلسفة أن نرفض كافة الفلسفات أو أن نعتبرها ذات خطر على تفكيرنا · فهذا افساد لدور الفكر وهو حجر على مواد الاشتغال العقلى بالمبادىء والأوليات والجوانب المختلفة المتباينة ·

نريد اذن أن نقولها واضحة صريحة. ان المشتغلين بالفلسفة يفزعون من هذا التيار الجامح الذى يرغمهم دائما على التفكير فى فلسفة عربية قومية · ان الفلاسفة وأصحاب النظر العقلى يذعرون من مطالبة الناس لهم بأن يبدعوا فلسفة مصرية أو بيئية· وهم فى الواقع محقون فى اشفاقهم من هذا المطلب لأن الفلسفة علم مثل بقية العلوم قد يتفق مع بعض النظرات وقد يختلف عنها ولكنه لا يتقيد الا بظروف تطور مفهوماته وكلماته ودوائر اختصاصه. فالفلسفة علم قد يجمع ما يعجبك وما لا يعجبك فى آن واحد وقد يعلمك الايمان والرفض فى نفس اللحظة · وتقتضى طبيعة الفلسفة نوعا معينا من الاستعداد لدى الافراد من أجل دراستها والاقبال عليها · لابد من الفة الفاظ الفلسفة واساليبها وطرق التعبير فيها من أجل فهمها · ولهذا اذا قال أحد الناس نريد فلسفة مصرية من أجل تأكيد الايمان والفهم لدى شعوبنا المناضلة كان كمن يضرب الفيلسوف فوق انفه · فالفلسفة تتطلب دراية بالفلسفة عند زاوية خاصة فعلينا أن نقوم فى التو واللحظة بالفصل بين هذه الزاوية الفلسفية التى اخترناها للجموع وبين الفلسفة كعلم له حق البحث والتطور الخاص المنفرد داخل أروقة النظر والدراسة · والا فعملية الاختيار هنا هى نوع من الارهاب الفكرى الذى يخشاه كل فيلسوف والذى يحجم عنه قسرا حرصا على أقدس مقدسات العلم الذى يشتغل به وهو الانطلاق والحرية

علينا أن ندرك اذن مدى خطورة اختيار فلسفة معينة من أجل التمشى مع التطبيقات الثورية · لا يجب أن تكون تلك نهاية الفلسفة كعلم · بل يجب أن تكون تلك الخطوة نوعا من أداء الوظيفة الخالدة التى يقوم بها الفكر عادة حيال الحركات الاجتماعية والسياسية ذات الأصول المنهجية والبذور الروحية· ولا يصح أن تطغى هذه الفلسفة الجديدة المقترحة على أصول المهنة ذاتها كما لا يجوز أن تفسد مفهوم الفلسفة أو أن تخون كرامتها ·

وقد صارت المادية الجدلية فلسفة روسيا القومية والسياسية فقضت على جميع مفهومات العلم والسياسة والفلسفة داخل الاتحاد السوفييتي . استطاعت المادية الجدلية أن تحتل المكانة الأولى وان تقضى على كل أنواع البحث العقلى داخل أروقة الدراسة بالجامعات والهيئات . لم تفسح المجال لأى نوع من أنواع الفلسفة لأن العملية صارت في يد من لا يعبأ بالفلسفة في حد ذاتها وانما يهمه أولا وقبل كل شيء حماية المفاهيم القومية التى تنبنى عليها كل أصول الفكر السياسى والاجتماعى .

وصارت الوضعية المنطقية فلسفة الولايات المتحدة الأمريكية . وهى فلسفة أمريكا الشعبية التى تقارب من مفاهيم الدولة العملية فى السياسة وفى الصناعة وفى الحكم وبين وسائل التعامل الفكرى بين الأفراد. ولكن هذا النوع من الفلسفة لم يطغ طغيانا كاملا على مجالات البحث الأخرى الا من حيث ذيوعه وشعبيته . اما أساليب البحث والنظر والاشتغال بالفلسفة فهى غير مقيدة أو محدودة تحديدا قاطعا بواسطة ماتفرضه الوضعية المنطقية. وهذه الوضعية المنطقية لاتعادى العلم بل تحرص على تاديته وانجاحه مع ربطه بالاحتياجات العامة ووسائل التحقيق الفعلى للنظريات المأخوذ بها . ولكنها لا تروق المشتغلين بالفلسفة على نحو ما تنادى أصولها وحقيقتها فى نظرهم . وعلى الرغم من ذلك فهى لا تحمل طابع الفكر القومى ولا تحتاج الى فرض أنواع من أساليب حمايتها وحفظها على نحو ما تفعل المادية الجدلية .

والواقع أن المادية الجدلية والوضعية المنطقية كلاهما يمثل تيارا معاديا للفلسفة بأصولها العلمية الحقيقية . فالمادية الجدلية ترتبط بمفهومات معينة ليست من الصحة فى شيء كما تضع الوضعية المنطقية شروطا خاصة لا يجوز التفكير على غير منوالها . وهاتان الفلسفتان تشيعان الرعب والبغض فى نفوس الفلاسفة . ولكن لا مانع من وجهة نظر الفلاسفة الخلص أن نترك هذه الفلسفات فى دائرة اختصاصها بالنسبة الى الجموع البشرية المتلاصقة داخل اطار المعاملات. ليس مايمنع فعلا أن تكون هذه الفلسفات بمثابة طراز للفكر داخل نطاق الجامعات غير المتخصصة التى لا تطلب بحثا خالصا والتى لا يمكن أن نطلب اليها أكثر من هذه التحديدات الشعبية المفيدة التى تنظم الفكر مع العمل وتجعل مطالب الروح فى اتساق مع مقتضيات الواقع الفعلى. هذه الفلسفات اذن منتهية مكتملة بينما الفلسفة الحقيقية لا تكتمل ولا تنتهى . وهذه الفلسفات رافضة لما عداها ، منكرة لكل فلسفة سواها ، بينما لا يجمد الفكر قط عند وضع ولا تحده شروط أو قواعد . وهذه الفلسفات لا تحتاج الى تمعن أو فحص دقيقين بينما ترفض الفلسفة الخالصة أن تكون نوعا من الأداء الوظيفى لاحتياجات مباشرة أو عملية .

فالفكر يمتد الى آفاق لاتمليها الاحتياجات المباشرة. وأخطر شيء هو أن نجعل هذه الفلسفات بمثابة القيم على كل ضروب الاشتغال بالفكر والتعامل النظرى. فهذه المرحلة البدائية قد اجتازها الفكر منذ كان لايزال يشرع فى ملامسة الواقع والاقتراب من مظاهر المعاش اليومى . ولا شك انها صارت أقرب الى ضرورات الأوضاع اليومية . فالانسان لا يحتاج الى الفكر الا بقدر ما يتحسس احتياجاته داخل نطاق الواقع المحدود . ولكن هذه البدائية فى التفكير لا تعدو أن تكون ظاهرة قريبة الشبه لكل ما يجرى فى مجالات الفن والأدب والصناعة . لقد صارت الانسانية ذات نزوع طبيعى نحو البدائية كأنما تستعيد انتعاشها بالتجربة السالفة . وهذا هو ما يحصل بالفعل فى كافة المجالات .

بيد أننا نخشى اختيار فلسفة شعبية تصبح وسيلة لتهديد الفكر ونخشى أن تطغى فلسفة الجموع وفلسفة الكيان القومى والروحى على وسائل العلم والبحث المتمرين . ويكفينا أن نرى الاتحاد السوفييتى يفكر بعقلية محددة ، ونرى الولايات المتحدة تغط فى سبات العلم المرتبط بالألفاظ ذات الدلالة المحسوسة. ونحن نشعر ببوادر هذه النزعات لدينا حينما نرى بعض الناس يتهم نوعا من الفلسفات بأنه غير اشتراكى . فهذا هو سبيل احتكار طائفة معينة لأبواب الفكر واستخدام التهديد كوسيلة للضغط على مجالات الفلسفة .

واذا جاز لنا أن نتهم بعض الفلسفات بأنها غير اشتراكية فلا بد أن ينسحب اتهامنا ذاك على حساب التفاضل والتكامل الذى تقوم الجامعات والمدارس بتعليمه . فالتفاضل والتكامل ليس من علوم

الاشتراكية وعلى ذلك ينبغي أن نوقف تدريسها فى جامعاتنا وشرحها فى الكتب التى تصدرها مطابعنا. ذلك أن الفلسفة لا تقل علمية واستقلالا عن حساب التفاضل والتكامل .

واذا كان هناك جزء من الفلسفة يختص بالمفاهيم والعقائد الشعبية فليس معنى ذلك أن مهمة الفلسفة كلها هى ذلك العمل وحده . وقد تخدم الفلسفة الاشتراكية من أحد جوانبها وهى تفعل ذلك بلاأدنى شك . ولكن ليس كل ما فى الفلسفة من مواد هو من مستلزمات علم الاشتراكية . كما هو الأمر فى علوم الهندسة . ليست كل هذه العلوم الهندسية مسخرة لبناء المنازل . فاذا قلت ان مهمة الهندسة الأولى هى بناء المنازل كنت مخطئا واذا قلت ان مهمة الفلسفة الوحيدة هى اقامة المفاهيم والعقائد كنت ايضا مخطئا .

بقى أن نشير هنا الى أن بعض الناس يتهم **المذهب الوجودى** بانه غير اشتراكى . وهو يشير الى الوجودية فى غير قليل من الازدراء وأنا لا أزال أصر على موقفى فى الاستناد الى الفلسفة الوجودية المستمدة من الظاهريات وهى وجودية أخرى غير تلك التى يستمدها الدكتور عبد الرحمن بدوى من كير كجورد . ويبدو ان نقاد هذا الخط الفلسفى يجهلون أى شىء عن تطورات الفكر المعاصر . فالوجودية هى الفلسفة الاشتراكية الحديثة التى التهمت الشيوعية وجعلتها طرفا من قضاياها ، وهى فى ذلك تؤدى عملا شبيها بما عملته نظرية النسبية فى فزياء نيوتن . ان النسبية التى جاء بها اينشتين لم تعارض فزياء نيوتن وانما ضمتها الى كيانها وجعلتها بعضا من تفسيرها . وكذلك لم يعارض سارتر الشيوعية وانما جعلها جزءا من بناء الوجودية الاشتراكية كما تمثلت فى كتابه عن نقد العقل الديالكتيكى .

لقد ظل سارتر يهادن الشيوعيين زمنا طويلا ويسعى لأن يضموه اليهم ولكنهم كانوا دائما يشعرون بالخطر الذى يكمن فى تيارات فكره على الاصول الماركسية . ولهذا تجنبوا اعتباره شيوعيا الى أن أظهر كتابه الأخير وأعطى تفسيرات اشتراكية مستحدثة لكل اليسار الفلسفى . ونقاد المذاهب الفلسفية عندنا يوجهون اتهاماتهم الينا وهم لا يعلمون أن الوجودية الاشتراكية قد ابتلعت الشيوعية ابتلاعا وأن الوجودية عادت الى تمثيل الاشتراكيات العالمية أصدق تمثيل .

لا بد أن يستيقظ أصحابنا الذين ما زالوا يغطون فى النوم . لقد اعاد سارتر الى الديالكتيك فاعليته ومعقوليته من ذاته . وبذلك يكون سارتر قد أعاد الى الديالكتيك كل أصوله واوضاعه الحقيقية فى ارتباطه بالكيان البشرى . وظن ماركس أن الديالكتيك كان مقلوبا لدى هيجل وأنه هو الذى قومه وعدله . ولكن سارتر هذا الطفل الرجيم قد أقحم نفسه فى الميدان لاستنقاذ الديالكتيك من المفاهيم الماركسية المغلقة وافساح المجال أمام معقوليته المستمدة من ذاته . فاستطاع سارتر أن يجعل من الشيوعية احد أبواب نظريته الاشتراكية وأن يحيلها الى مجرد رأى داخل نظريته العامة .

وعندما تقترب ثورتنا من حقائق الوضع الاشتراكى المعاصر سترى ان احدث النظريات التى تحتاج الى تقريب والى تعبئة شعبية والى امتزاج بالمعنويات القومية هى تلك التى تستقى أصولها ومبادئها من سارتر وعندما تحتاج الى كيان روحى مساند لعقائدنا الفكرية الموازية للاطار المادى وفقا لطبيعة بلادنا ستجده بلا شك فى ثنايا نظرية الوجود الارادى للعقاد . وبين هاتين الفلسفتين بوجهيهما الروحى والمادى سنحصل على المفاهيم القومية الثورية . بادخال هاتين الفلسفتين كل منهما فى الأخرى مع التبسيط الشعبى نحصل على الفلسفة التى تلتقى مع الثورة .

« عبد الفتاح الديدى »

الأدب الكشميرى

بقلم : محيى الدين الألوائى

الآداب الشرقية المعاصرة :

كشمير : هى البلد الجميل المسمى بعروس الهند او سويسرا الشرق .. وتقع فى المنطقة الشمالية للهند ، على بعد ٦٥٠ ميلا من دلهى عاصمة الجمهورية الهندية ، وتتصل حدودها الشمالية بجبال الهمالايا الشامخة المغطاة بالثلوج ، واراضيها مفروشة باشجار الصنوبر والسرو ، وتجرى من تحتها الجداول التى تصب فيها مياه الشلالات من قمم الجبال المغطاة بالثلوج ، وفيها لمسات الطبيعة الملهمة فى وسط الغابات الجميلة والحدائق الغناء ، وتتجلى مظاهر هذه المنطقة الرائعة ، وجمال طبيعتها فى ادب شعبها ، وشعرائه وادبائه بنطاق واسع . وفيما يلى جولة خاطفة حول اللغة الكشميرية وآدابها وتطوراتها .

نشأة اللغة الكشميرية

لاشك ان اللغة الكشميرية قد صارت وارثة للبراعة الأدبية المدخرة خلال اكثر من ستة قرون فى السنسكرتية والفارسية ، ولكنها لم تكن لغة رسمية للحكومات ولا لغة الدراسة فى المدارس الى سنين متاخرة . ويبدو من هذا جليا سبب اضمحلال الصحافة فى اللغة الكشميرية وضآلتها، وهبوط مستوى النثر فيها . ولم يكن سبب هذا وذاك عدم النبوغ الانشائى فيها ،بل فقر التسهيلات اللازمة للنشر ، وكذلك لأجل الجمود السائد فى عامة القراء ، فان القصص القصيرة التى وضعها مشاهير الكتاب مثل اختر محيى الدين و «أوميس كول» وروش و «نديم» و «ذوتشى» و «تاج بيجوم» لتبشر بمستقبل باهر للادب الكشميرى ، كما تبشر به تمثيليات«بشكار بهان» و «على محمد» وامثالهما وهذه الأعمال الأدبية وان لم تكن فى درجة عليا من الاساليب والمناهج ، تدل محتوياتها على خصوبة الأرض وطيبتها للتحرك نحو حياة جديدة تتبلج فى كشمير ، ويفوح نفح نسيم جديد فى كل من الساسة العاملين ، والفلاحين الكادحين ، وافراد الطبقة المتوسطة والفقيرة والغنية ، والفنانين الناشئين ، والعمال الكادحين والموظفين فى المكاتب الحكومية والشركات والجامعات والمعاهد بل فى جماعات السيدات اللاتى لايتبرجن من بيوتهن ويحتفظن بتقاليدهن التى ورثتها جيلا بعد جيل .

الشعر الكشميرى

ان الشعر الكشميرى قد احتل مكانة مرموقة وسط الآداب الشعرية الهندية ، ولكن النثر الكشميرى لم يصل بعدالى مستوى النثر من الآداب الاخرى ويرجع تاريخ التراث الادبى فى اللغة الكشميرية الى القرن الثالث عشر اذ اختار «سيتى كانتا» لغة شعبية يفهمها الجميع لمقالته الدينية الشهيرة : «مهانايا بركاشا» . وفى اول الأمر كانت اللغة الشعبية الدارجة تستخدم للأغراض الدينية فقط فلم تلبث ان أصبحت وسيلة لسائر الاحتفالات والمناسبات الثقافية والأدبية . وكانت كشمير فى تلك الايام تعانى ازمات سياسية خطيرة ، والنمط الثقافى — الاجتماعى كان يمتاز بمظاهر الاتصال الوثيق بين فلسفة «شيوا» والتصوف الاسلامى . وتتجلى هذه النغمة الجديدة فى كلام « لال دد » (القرن الرابع عشر) ومعاصرها الشيخ نور الدين . وتشرب شعر «لال دد» بمقطوعات من الاغانى الصوفية التى تدور حول نظرية «وحدة الوجود» فجاء نمطا جديدا شيقا فى هذا المضمار . ويدعو شعر الشيخ نور الدين المعروف « بنندرشى » الى توازن تام بين القوى المادية والروحية . وقد سبق هذين الصوفيين «كبير» فى الدعوة الى ضرورة



منظر خلاب ساحر من طبيعة كشمير يستلهم منه الشعراء والادباء

النظام الداخلي والتجرد النفسي وفي تزعم نضال ضد الجمود الروحي . ودعا هذان الصوفيان الاسلام والهندوسية الى هدف واحد مشترك ، ووجها دعوة حارة متحمسة نحو الاخوة الانسانية والمساواة الاجتماعية والوحدة الروحية ، بصرف النظر عن الاختلافات الدينية والطائفية والجنسية واللغوية والاقليمية ، وما الى ذلك من الشكليات التى لاتمت الى الحقيقة بصلة ، واتى بعد ذلك عصر الشاعر الصوفى « محمود جامى » وملك زمام الادب الشعرى فى الكشميرية على نمط «المثنوى» الفارسى ومنح تحولا جديدا للادب الصوفى وألبسه ثوب التجدد والتطور العصرى . واما التراجم الكشميرية للمؤلفات القيمة الفارسية مثل : « يوسف وزليخا» و « ليلى مجنون » وكلريز فكانت تعتبر فى مقدمة الاعمال الادبية التى غذت الادب الكشميرى بمواهب الادب العالمى . وقدم «هيمل» مثلا حيا قيما للتضافر الفنى والادبى ، فى قصصه الشهيرة فى الكشميرية .

عهد التجديد

واما شعراء البلاط الملكى للسلطان العالم العبقرى «زين العابدين» (القرن الخامس عشر) فلم ينقلوا « شاهنامه » للفردوسى الى الشعر الكشميرى فقط ، بل تبرعوا للغة الكشميرية بملحمة قيمة مشهورة باسم : «باناسوراوادها» وقصيدة تاريخية باسم : « زينا جريتا » (أى تاريخ حياة الزين) وتمثيلية هامة تعرف باسم : « زينا ولاسا » (أى قصر الزين) ولكن الركود الذى ساد الادب الكشميرى بعد وفاة راعيه الاكبر قد قضى على هذه الذخائر الادبية وغيرها ، واتى عليها حين من الخمول والجمود . واستمرت تلك الحالة الى بروز «محمود جامى» فى القرن التاسع عشر حيث استغل هذه الذخائر المكنونة لاشعاره الصوفية ، ولنشر أخيلته الخلابة التى تدور حول الآراء الفلسفية والفكرية والروحية .

وقام «براماننذا» بتصوير التقاليد الشعبية الشائعة عن «كريشنا» و «شيوا» فى اسلوب بسيط جيد . وجاءت قصائده الشهيرة : «رادها سويام وارا» و «سوداماجرتا» و «شيوالجنا» كنوزا للاشعار العظيمة وتشتمل على ميزات الجمعية « الوشناوية » والزهد « الشيوى » . وان كانت هذه القصائد مليئة بآراء الاساطير والافكار الخرافية فانها لاتخلو عن القيم الاجتماعية ، والنص الشعرى «للراماين» من وضع «بركاش رام كور» قد بلغ اوج الشهرة والقبول الحسن لدى عامة الشعب . ووضعه « بركاش كور » فى القرن الثامن عشر باسم «راماوتراجرينا» ، ويليه الشعر التاريخى « لوهاب بارا» (القرن التاسع عشر) فى المنهج الحديث والتزام النمط الشعبى السائد المعروف .

ملكة الشعر الكشميرى

ان «حباخاتون» (العشيقة الحاذقة ليوسف شاه تشاك) لهى التى انهضت التراث الادبى فى القرن السادس عشر ، وافتتحت دورا جديدا من النشاط الادبى البنائى . وتطورت فتاة فلاحة الى عرش الشعر الكشميرى حيث كان يتناول شتى نواحى الحياة الشعبية . وتتدفق اغانيها بابتسامات ودموع ، وسادت اناشيدها البديعة ذلك العصر كله الى عصر نبوغ «ارنيمال» فى القرن الثامن عشر للميلاد المسيحى وكانت «ارنيمال» زوجة شاعر فارسى برهمى وقد منحت للغة كشمير مجموعة من القصائد الحية الرائعة تطرق جميع أبواب المشاعر والعواطف فى الافراد . وفى ممر الايام قد تحولت اناشيدها الى اناشيد دينية وتعبدية وتبرعت الى مكتبة الادب الكشميرى بديوانيها الشهيرين «بلبلا» و «نعت» واما «كريشنا دزدان» و «نسيم» فعملا الخيوط الشعبية ثم نظما فيها جواهر الاغانى والاناشيد بطريقة بديعة رنانة حيث تبهر الاسماع وتهز القلوب ، ولم يظهر

الادب الكشميري المعاصر ، سيما الشعر منه على شاشة اللغة الكشميرية الا فى اواخر القرن الماضي. وان الشعر الهجائى «لمقبول كر الأوارى» و «وهاب بارا» مهد الطريق الى مانعرفه الآن بالشعر الواقعى وقام عـدد لاباس به من الشـعراء فى ذلك العصر بوضع كلامهم فى الهجو والهـزليات والمضـحكات والأمور الجدية فى صورة هزل واخيرا فى الغزل . وكان الغزلى الكبير «رسـول مير» يعد فى مقـدمة صـفوف المطربين الغزليين واتى فى العصر بالذات داعية الشعر الحديث الكشميرى «مهجور» (١٩٥٢ – ١٨٨٥ م) وتاثر كثيرا بغزل «مير» واسلوبه الفذ ومنـذئذ انفتح مصراع جديد فى الادب الكشميرى المعاصر .

الأدب الشعبي

ينعكس فى الشعر الكشميرى خلال عقدين اخيرين بطـريقة ملحوظـة مظهر النهضـــة الاجتمـاعية – السياسية بين الكشميريين وكفاحهم المرير ضد نير الاقطاع . ويتجلى من خلاله مدى شعور الشعب الكشميرى الذى يتوق الى تحقيق كشمير الحديثة وكان «مهجور» أول شاعر نبه الشعب الى التعقل والوعى والتطور الذى ياخذ بمجامع قلوب الناس جماعات وفـرادى ، ومنحت اناشـيده ، المليئـة بالوطنية والحماس والحميـة ، للشعر الكشميرى نهجا جديدا بل كسـته وجهة نظر جديدة واتجاها ذاتيـا لم يسبق لهما مثيل ، وهـذب الاسـاليب القديمة والتشبيهات العتيقة فيه ، واخترع أساليب واستعارات جـديدة تتفق مع المطـالب الحـديثة ومقتضيات العصر ، وهذا النهج الجديد قد صار بمثابة صمام الأمن له من مصائب الرقابة الرسمية وبفضل ذلك التحول استطاع ان يوقظ فى الشعب وعيا ضد نير الاقطاع والاستغلال المخيف .

واما معـاصره «عبد الأحـد آزاد» فـكان اكثر صريحا فى مهمته ودعوته التى يتخذها مبدأ له . وكرس جهوده ، اولا وقبل كل شيء ضد التعصب الدينى والبغضاء للطائفية وضيق الافق القومى او الوطنى ودعا الى خلق مجتمع لاتسـوده الطبقيات او الفوارق العنصرية واللونية واللغوية ، وما الى ذلك من اوبئـة المجتمع ، وكانت كشمير حينذاك تقاسى انواعا من الكروب من جراء الحكم الاقطاعى والسيطرة الاستعمارية ، وان الأعبـاء الملقاة على عاتق الأدباء والكتاب والشعراء لثقيلة جدا ، وكان عليهم ان يثيروا فى اذهان الناس شـعورا مليئا بالحماس الوطنى وغيرة التخلص من ويلات المصائب العديدة التى كادت تكسر ظهرهم .

عهد النهضة

عهد الاستقلال فى كشمير قد منح حلة بيضـاء للادب الكشميرى اذ شد ازره ، لا لمجـرد اتسـاع دائرة مواضيع الأدب وتحرره من القيود والعقبات بل كانت هناك محاولات جمة لاحيـاء كل ماهـو ثمين مدفون فى آداب البلاد وثقافاتها ومدنياتها ، وكان «نديم» احد منظمى الحركة الثقافية الجديدة فى كشمير ، وكما انه فى مقدمة الشعراء الشـبان المتفائلين الملهمين ، ولم يلبث ان وجـد نفسـه فى وسط جماعة متجانسة من زملائه الشبان مثـل «روش» و «راهى» و «بريمى» وغـيرهم وحتى الشعراء الذين لهم سبق فى الميدان نحو «عارف» و « آرزو » و « اميادار » و « فاضل » اقتفوا آثار التحـول الحديث ولبوا مقتضيـات الوقت بدون اشمئزاز ولافتور ، وسـعى كلا الفـريقين لخلق مجتمع حر من الازمات وبعيد من الاهوال ، وبذل هؤلاء الشعراء والكتاب جهودا جبارة للقضـاء على العناصر المضادة للاصلاح الاجتماعى والديمقراطى. وفى متناول ايدينا من هذه الذخائر «شبابى تاضر» «لنديم» من نماذج حية لهذا التطور الحـديث فى الاتجاهات الذهنية والافكار الحرة والآراء العصرية ولبى الشاعر الى مطلب الوقت فى السلام والانسجام الداخليين بطريق الاستفادة بكل ماهو قيم فى آداب البلاد وثقافاتها التى لها يد طولى ، قديما وحديثا، فى دعوة الناس الى الالفة والود ومجد المـاضى . وانشـد «نديم» لأهل وطنه فى مواضيع شتى مثل الاصلاح الزراعى والتهـذيب الاجتماعى الداخلى والخارجى ، ووصـف الفلاح الخامل لمحراثه ونيره فى الحقول « بكاتب سـطر او راسم خط حديث فى تاريخ مستقبل الشـعب ، وعلى جبين وطنـه الحبيب » .

محيى الدين الالوائى

الانسان .. والزمن

للشاعرة : جليلة رضا

توقف عن سيره متعبا وسمر رجليه فوق الصخور
ولكن صاحبه شده وصاح به أن يحث المسير
أجاب : حنانيك كلت خطاى وليلى ضرير ودربى عسير
الى أين تدفعنى هاربا ؟ وما منتهاى ؟ وأين المصير ؟
الا ايها الشيخ قف برهة لاشهد خلفى الضياء المنير
اما كنت من قبل لى طائعا سريع الرضاء ، عطوفا ، صبور ؟

فما بالك اليوم تسخر منى ومن أدمعى !
وتصرخ : « سر ! سر » وصوتك يعصف فى مسمعى
ويطعن ظهرى اخنجرك المستبد العنيد
وتلهو براسى فيبيض شعرى مثل الجليد
بانفى فتنفخه كالكره
بكل عروق يدى النافره

ويالك من زمن ظالم تشيع الفناء على ارضنا
تململ صاحبه فى استياء وقطب جبهته فى اكتئاب
وتمتم يالك من جاحد ظلمت زمانك يابن التراب

اذا ما حرمتك عز الشباب وفخر الجمال
فانى وهبتك تاج الوقار وعرش الخيال
وهدأت اعصابك الثائرات
وبدلت طيشك بالذكريات
وبالصبر فاق الهوى والمجون
بروح القناعة ضيم السنين
ومن ضوء الهام معرفتى
غمرتك بالوعى والخبرة

فاما هرمت واصبحت مثلى فحسبك انى وهبتك عقلى

كلمات مهاجرة

للشاعر : محمد فتوح أحمد

(من مذكرات «فلسطيني» مازال مغتربا .. هناك
في وطنه .. اليها)

صلى لأجلى .. ارضنا مقبرة
لم تبق فى أغوارها جوهره
صلى لأجلى .. اننى ها هنا
اشقى وراء الكلمة النيره
اشقى على حرف .. رقيق الصدى
مهاجر فى بسمة مزهره
او نجمة فى الشعر مضفورة
تصطاف فى نظراتك المقمره
اشقى على الانسان .. أيامنا
من بعدكم .. ايامنا منكره
وانت ما جربت معنى الضنى
وان يذيب الحى .. أن يعصره
وان يموت المرء فى غربة
أرض الصبا .. لكنها مقفره
المسجد العارى .. بأيديهم
جفت به التسبيحة المطره
والتين .. والزيتون .. والمنحنى
ماتت على الاقدام مستكبره
ونحن .. حتى نحن .. يافتنتى
نعيش : لا موت ولا مغفره
فالذنب .. يشوى الذنب ارواحنا
وتنطوى ايامنا مندرة !
ونحن كنا ملح هذا الثرى
وعرقه المخصاب والمقدره
كانت لنا دار .. وكانت لنا
فى ظلها تعريشة مثمره
تنام فيها الشمس مرخية
ويسكب الضوء بها أنهره
يا كم لعبنا عندها .. كم لنا
فى جذعها من احرف مبصره

تحكى بأنا ذات يوم .. هنا
كنا ، وكانت ارضنا الخيره
صلى لأجلى .. اننى هاهنا
أعيش .. لا موت ولا مغفره
فلست فى دارى سوى لاجئ
يكاد مرأى الدار أن ينحره
ضاقت بنا .. لما رضينا الأذى
ضاقت بأشواق الغد المهدره
وأن يظل السفح اسطورة
وأن يظل الحقل «مستعمره»
وأن يضيع العمر فى رحلة
وراء طيف العودة المنظره
يموت .. يستجدى ، فمن منزل
يشقى به يوما .. الى مقبره
والريح فى آثاره صرخة
تاهت على الصحراء مستعبره
التل .. والمجرى .. وحتى الحصى
و«العشة» الصغرى .. وحقل الذره
وكل شئ .. كل شئ هنا
يصرخ : لا موت ولا مغفره
صلى لأجلى .. واذكرى حبنا
فاننى اخجل ان اذكره
وليس للمقهور أن يشتهى
وليس للأزهار أن تسحره
وليس للأغراب امثالنا
الا غرام الارض .. ما اكبره
يا أرضنا .. يا أرض آلامنا
يا قطعة فى الصدر مخضوضره
يا ذنبنا .. يا ذنب آبائنا
معذرة - يا أمنا - معذرة !

وحدة الدم العربي في شمالي أفريقية

بقلم الدكتور : أحمد محمد الحوفي

ـ ١ ـ

عجيب هذا الدم العربي .

لقد أبى أن يحتبس في جزيرة العرب ، فجعل يتسرب منها آنا وينطلق آنا، حتى عم الشام والعراق ومصر والسودان ، وها هو ذا يسري ثم يجري الى شمال افريقية ، من برقة الى المغرب الأقصى .

فقد عمر العرب شمالي افريقية قبل الاسلام بزمن بعيد ، وذلك أن قبائل عربية يمنية رحلت من جزيرة العرب الى السودان ، ثم الى المغرب ، وانتشرت في ربوعه وفي جهات من الصحراء ، واختلطت بالسكان الذين كانوا قد وفدوا من أوربا ، واستقر بعض العرب بكثير من الجزائر مثل جزائر الكناري في المحيط الأطلسي ، وجزيرة سردينية وصقلية ومالطة وقوصرة في البحر الأبيض المتوسط ، وكان ذلك في زمن قديم لا يقل عن ثلاثين قرنا قبل ميلاد المسيح.

وهؤلاء هم الذين يسمون أنفسهم (**أمازيغ**) أي الأشراف الأحرار ، ويرفضون كلمة (بربر) التي أطلقها عليهم اليونان ثم الرومان ، لانها تعني الهمج المتوحشين ، وهم في الحقيقة عرب ليسوا من الوحشية أو الهمجية في شيء .

وقد ذكر « هيرودوت » أن البربر بتونس رحل، وانهم بالمغرب الأوسط يسكنون السهول ، ويحرثون الارض وبعضهم يقيم بالجبال التي تكسوها الغابات.

وذكر ابن خلدون أنهم قبائل أكثر من أن تحصى، يعمرون شمال افريقية من المغرب الى الاسكندرية منذ أزمنة لايعرفون أولها ولا ماقبلها، ثم اتخذ الفينيقيون ـ وهم عرب ـ البحر الابيض المتوسط مجالا لتجارتهم وملاحتهم ، وأنشأوا على سواحله كثيرا من المراكز والمرافىء التجارية . وفي القرن العاشر قبل الميلاد نزحت جموع منهم الى تونس ، وأقاموا بها دولتهم ، وأسسوا عاصمتها قرطاجنة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، واختلطوا باخوانهم العرب الذين كانوا قد سبقوهم الى هناك منذ زمن بعيد .

ولم تلبث دولتهم أن صارت شديدة البأس ، وأعظم دولة تجارية على البحر الابيض المتوسط ، اذ كان القرطاجنيون أوفر من الرومان مالا ، وأعظم أسطولا، وأكثر مراكزا ، وكانت أملاكهم في افريقية تشمل معظم تونس والجزائر ومراكش .

ثم نشبت حروب طويلة بينهم وبين روما، وانتهت سنة ١٤٦ م بانتصار الرومان وتدمير قرطاجنة .

فلما استهل الاسلام توالت الهجرات العربية الى شمالي افريقية منذ اتجه عمرو بن العاص الى برقة سنة ٢٢ هـ ، فصالحه أهلها ، ثم سار الى طرابلس ففتحها في العام نفسه .

وكان عقبة بن نافع قد أقام ببرقة وزويلة الى أن أرسل اليه معاوية جيشا فتح به افريقية ، وأسس مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ (٦٧٠م) ، ثم زحف تجاه الغرب حتى قارب المحيط الأطلسي .

وما زالت الجيوش توجه الى هذه الاصقاع حتى اكتمل فتحها سنة ٨٢ هـ (٧٠١م) . وسرعان ما تدفقت القبائل العربية على شمالي افريقية من مضرية وحميرية حتى ازدحم الاقليم بها . وحسبنا أن نذكر منها الجموع الحاشدة من مضر التي ارتحلت الى هناك واستقرت واختلطت دماؤها بدماء الأهليين . هذه الجموع هي بطون من بني هلال وسليم ، كانت قد نزلت بصعيد مصر شرقي النيل، ولكنهم تكاثروا وعاثوا في مصر فسادا ، ثم سنحت الفرصة للخلاص منهم ، حينما خلع المعز بن باديس الصنهاجي ولاءه للخليفة الفاطمي المستنصر سنة

٤٣٧ هـ (١٠٤٥ م) ، وقطع اسمه من الخطبة ، وخطب باسم الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، اذ كانت الثورة على المذهب الشيعى قد تفاقمت فى شمالى افريقية ، واطمأن الناس الى العودة لمذهب اهل السنة ، وأقبلوا على مذهب الامام مالك .

حينئذ استشار الخليفة الفاطمى المستنصر وزيره أبا محمد اليازورى ، فأشار عليه بأن يستعين على المعز ببنى هلال وسليم ، ليتخلص من شرورهم ، وليقوض ملك ابن بديس ، فشجعهم الخليفة على الرحيل الى شمالى افريقية ، واعطى كلا منهم بعيرا ودينارا ، وقال لهم : قد منحتكم المغرب وملك المعز ابن باديس ، فسرعان ما استجابوا ، ونزحوا الى برقة سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢) م وافتتحوها ، وكان عددهم أربع مائة ألف ، ثم كتبوا الى اخوانهم الذين بقوا بمصر يرغبونهم فى اللحاق بهم ، فسار اليهم كثير منهم ، وبقى بعضهم بمصر مثل بنى عقبة بأسنا وأسوان .

وهنالك فى برقة وطرابلس استقر بنو سليم زمانا ، ثم شخصوا الى المغرب . أما بنو هلال فانهم جعلوا ينتشرون من تونس الى المغرب ، حتى بلغوا مراكش ، ووصل بعضهم الى ريودورو الخاضعة لاسبانيا الآن ، ثم اتجه فريق منهم الى السودان ، فأقاموا بدارفور ، ولا يزال عامة سكانها يرجعون نسبهم الى بنى هلال .

ويكفى للدلالة على كثرة المهاجرين الى شمالى افريقية أول مرة أن عدد الفرسان المحاربين كان سبعة آلاف فارس فى موقعة بينهم وبين المعز بن باديس وأعوانه من قبيلة (زناتة) المغربية سنة ٤٤٦هـ (١٠٥٤) ، وهى الموقعة التى دخلوا بعدها القيروان وباجة ، وجعلوا ينتشرون فى الاقليم كله .

وقد ذكر ابن خلدون كثيرا من بطون بنى هلال فى عصره - توفى سنة ٨٠٨ هـ - مثل الأثبج ورياح ، والعاصم ، ومقدم ، وقرة ، والكلبة ، والشبة ، والصحة ، والسرحانية ، وذكر كثيرا من بطون بنى سليم فى زمنه مثل زغب ودياب ووهيب ومحارب وعوف وعزاز وعريف .

ثم تتابع العرب الى شمالى افريقية من قبائل وبطون شتى ، وتشعبوا هنالك وتكاثروا ، وامتزجوا بالسكان امتزاجا تاما ، فتعربت البلاد دما ولغة وثقافة وعادات ، وصارت العروبة هى الطابع المميز لهم منذ زمن بعيد .

وعلى الرغم من تحامل Rene Basset على العرب والمسلمين فى الفصل الذى كتبه عن البربر ، فانه قد ذكر أن البربر « **تغيروا تغيرا عظيما لاختلاطهم بالعرب ، حتى ليستحيل تمييزهم فى أغلب الأحيان فهم لم يعودوا يذكرون شيئا عن أصلهم الحقيقى أو لغتهم أو عاداتهم** » .

فلا غرابة فى أن كان الملايين من أبناء المغرب كله حراصا على نسبهم العربى ، ومحتفظين بكثير من عاداتهم وعادات أسلافهم العرب الأولين .

ولذا قامت بشمالى افريقية دول كثيرة ، أسس بعضها العرب ، وأسس بعضها المستعربون ولكنها كانت كلها تحرص على صبغها العربى ، وتفاخر به ، ولم تنزع دولة من التى أقامها المستعربون الى لون من التنكر للعروبة ، أو التعصب للبربرية ، أو الدعوة اليها لتكون شعارا للشعب .

وهذه الدول الكثيرة ، منها :

الدولة الرستمية بالجزائر من ١٦٠ - ٢٩٦ هـ (٧٧٦ - ٩٠٨م) .

الدولة الادريسية بمراكش من ١٧٢ - ٣٧٥ هـ (٧٨٨ - ٩٨٥م) .

دولة الأغالبة بتونس من ١٨٤ - ٢٩٦ هـ (٨٠٠ - ٩٠٩م) .

الدولة الفاطمية بشمالى افريقية ٢٩٧هـ (٩٠٩م) .

دولة بنى حماد بقلعة بنى حماد وبجاية بالجزائر من ٣٩٨ - ٥٤٧هـ (١٠٠٧ - ١١٥٢م) .

دولة المرابطين بمراكش من ٤٤٨ - ٥٤١ هـ (١٠٥٦ - ١١٤٧م) .

دولة الموحدين بمراكش من ٥٢٤ - ٦٦٨ هـ (١١٣٠ - ١٢٦٩م) .

دولة الأشراف بمراكش ٩١٥ هـ (١٥٠٩م) الى اليوم .

أما الزعم بأن الأمازيغ أوالبربر أصلهم من السلت فانه ادعاء استعمارى باطل ، يحاول تفرقة العرب ، وادماج سكان شمالى افريقية بالفرنسيين ، وقد باءت بالهزيمة محاولات الايطاليين والفرنسيين أن ينسوا البربر عروبتهم ، وأن يصرفوهم عن اللغة العربية الى اللغة البربرية ، وعن الحروف العربية الى الحروف اللاتينية .

د. أحمد الحوفى

من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس (٢)

المشهد التاسع

بقلم : علي أحمد باكثير

بيت البطريق صفرونيوس على جبل الزيتون ، حجرة تطل على مدخل كنيسة القيامة .
تظهر مارية أخت البطريق وابنتها الشابة بربارة وأختها الراهبة مارتا واقفات يتطلعن من شبابيك الحجرة .

مارتا : هذه جموع كبيرة جاءت لتشهد الموكب .. من الذي اخبر هؤلاء الناس .

مارية : قد انتشر الخبر في الناس منذ أمس .. كل يشتهي أن يرى ملك العرب .. حتى النساء .. والاطفال .

بربارة : من حسن حظنا اننا في بيت يطل على مدخل الكنيسة .

(يدخل انطوان)

هلم يا أبي .. تعال قف الى جانبي .

انطوان : الم يأت الموكب بعد .

بربارة : ارى الناس تتدافع يا أبي فلعل الموكب قد اقبل .

انطوان : دون طبل ولا زمر ؟

بربارة : أخبرني خال البطريق أن أهل المدينة ارادوا أن يقلسوا لهذا الملك العربي فمنعهم .

انطوان : من الذي منعهم ؟

بربارة : خالي .

انطوان : الا يخشى خالك ان يغضب منه ملك العرب اذا بلغه انه منع الناس من الاحتفال به ؟

بربارة : انما منعهم نزولا على رغبة ملك العرب .

انطوان : عجيب .

بربارة : أعجب من ذلك يا أبي انه يرتدي فيما يحكي خالي ثيابا مرقعة ..
(تهتف) انظروا .. انظروا .. هاهو ذا الموكب قد ظهر .

انطوان : هؤلاء المشاة .. لعلهم يتقدمون الموكب .

بربارة : بل هوذا الموكب .. الا ترى خال البطريق يلمع رداؤه الاصفر تحت الشمس .

مارية : أجل ذاك أخي صفرونيوس .

انطوان : وأين الملك ؟

بربارة : لاريب انه ذلك العملاق الذي يسير عن يمينه .

مارية : انهم متوجهون نحو كنيسة القيامة . أتراه يدخلها؟

بربارة : لا ريب أنه سيدخلها .. انه طلب من خالي أن يزيره المآثر .

مارتا : (تصلب) عساه يدخلها فيؤمن بالمسيح يارب !

بربارة : انه يؤمن يا خالتي بالمسيح .. هؤلاء المسلمون يؤمنون جميعا بالسيد المسيح .

مارتا : ولكنهم ينكرون الوهيته .

مارية : انظروا .. دخل الكنيسة خلف أخي البطريق .

مارتا : يارب .. انت قادر على هدايته !

انطوان : أراك تحبينه كثيرا يامرتا .

مارتا : كيف لا وقد انقذ كنيستنا من بدعة هرقل ؟

مارية : ترى ماذا يصنع الآن داخل الكنيسة ؟

انطوان : ماذا يصنع ؟ يتأمل في التحف والايقونات

مارتا : لا تخف على اخينا البطريق .. انه لبق .

انطوان : ماذا تعنين يا مارتا ؟

مارتا : لن يتركه حتى يصل معه للمسيح .

انطوان : أحسب يامارتا أن اخاك البطريق لألبق من ذلك

برباره : صدقت يا أبي .. لابد أنه يريه التحف والايقونات

مارتا : واين هي التحف والأيقونات ؟ قد سحبها قيصر الى القسطنطينية . ولم يبق منها الا قليل .. آه لو بقي الصليب الأعظم حيث كان .. اذن لربما .

انطوان : لربما ماذا ؟

مارتا : لربما نالت بركته هذا الملك العربي فآمن !

انطوان : يا عزيزتي الاخت .. ما شأنك به ؟ الرجل تركنا في ديننا فاتركيه في دينه .

مارتا : وهل أكرهته أنا على شيء ؟ انما أدعو الله له بالهداية .

برباره : انظروا هاهو ذا خرج .

مارية : ياله من عملاق .

انطوان : في وجهه أمارات الحزن والاخبات

مارتا : ألم أقل لك ؟

برباره : وقف يتحدث مع خالي .

مارية : ترى ماذا يقول أحدهما للآخر ؟

برباره : انه يضرب على كتف خالي كأنه يشكره .. خالي يركع أمامه !

مارية : والعملاق ينهضه !

مارتا : عجبا ما معنى هذا ؟

برباره : انظروا ؟ انهم أحضروا له جواده .

مارية : أهذا جواده ؟ ليس عليه غيرسرج بسيط .

انطوان : لكنه جواد أصيل .

مارية : يالهي !

برباره : وثب على الجواد بيد واحدة !

مارية : ودون ركاب !

انطوان : وركب اصحابه خيولهم .. عجبا أين كانت هذه الخيول ؟ لقد جاءوا ماشين . ويسمع وقع حوافر الخيل منطلقة) .

برباره : كانت معهم يا أبي فترجلوا منها تعظيما للأماكن المقدسة .

انطوان : والله ما سمعت ولا رأيت أعجب مما رأيت اليوم .

مارتا : وتستكثرون بعد عليه وعلى أصحابه أن يؤمنوا ؟

برباره : قلت لك يا خالتي انهم مؤمنون بالسيد المسيح .

مارتا : أريد منهم يابنيتي أن يؤمنوا به كما نؤمن نحن به

انطوان : ولم هذا التعصب يا مارتا .. أما كفى ما أصابنا من هرقل .

برباره : هذا خالي قادما الينا .. لنسأله عن كل شيء .
(تخرج لتستقبله)

مارتا : هذه اول مرة تقع عيني فيها على هؤلاء الناس .

انطوان : فكيف رأيت ؟

مارتا : ازداد ايماني لما رأيتهم .

انطوان : كيف أيتها الأخت ؟

مارتا : ما كان هؤلاء ليغلبوا جنود الروم المدججين بالسلاح الساترين اجسامهم بالدروع ، وزرد الحديد لولا سخط الله علينا لما اقترفناه من ذنوب وآثام .

انطوان : من الذي اقترف ؟ نحن أم الروم ؟

مارتا : نحن النصارى جميعا باختلافنا في المسيح وعداوة بعضنا لبعض .

برباره : هذا قد وقع من زمن بعيد .

مارتا : ان الله يمهل يا أخي ولكنه لايهمل .
(يدخل صفرونيوس ومعه بربارة ممسكة بيده وهو يفيض عليها حنانا) .

صفرونيوس : لا يابنتي مازرنا جميع المآثر بعد .. سأرافقه غدا لنزور كنيسة المهد في بيت لحم .. (يحيط به الجميع) .

مارية : واين ذهب الآن يا أخي

صفرونيوس : رجع الى معسكره .

مارية : كيف تركتموه دون أن تقيموا له وليمة غداء ؟

صفرونيوس : بل دعوته يامارية ودعاه غير واحد من الكبراء الذين استقبلوه ولكنه اعتذر لانه صائم .

الجميع : صائم ؟

صفرونيوس : أجل لم يشأ أن يدخل بيت المقدس الا وهو صائم .

انطوان : ما أعجب أمره .. لكأنه اسطورة من الأساطير .

صفرونيوس : صدقت انه لكذلك .. كل يوم ينكشف لي عن فضل جديد .. لقد كنت أظن انه هو الرجس الآتي من القفر الذي ذكره النبي دانيال ولكني اقتنعت اليوم انني كنت مخطئا فيما ظننت .

مارتا : كيف يا أخي ؟ .. هل اعرب لك عن استعداده للايمان ؟

صفرونيوس : هذا رجل كله ايمان يامارتا من قمة رأسه الى أخمص قدميه .. انه ليذكرني بذلك الطراز القوي من أنبياء العهد القديم .

مارية : ماذا صنع يا أخي داخل الكنيسة ؟

صفرونيوس : ماصنع شيئا .. ما زاد على أن تمتم بكلام لم اسمعه لعله من القرآن المنزل على نبيهم فانه يحفظه عن ظهر قلب .

انطوان : ألم تبهره الكنيسة بجمالها ورونقها وما فيها من صور القديسين والقديسات ؟

صفرونيوس : لا .. ما ظهر لى شىء من ذلك.. كان كأنه غائب عما حوله من الصور والايقونات .. ولكنه انتبه واهتم لما وقفت به على المكان الذى قبر فيه السيد المسيح ، ثم رفع منه الى السماء فأخذ ينظر اليه فى خشوع واجلال .

مارتا : الم يقبل القبر أو يتمسح به ؟

صفرونيوس : لا .. ما تحرك من مكانه ولكنى لمحت فى وجهه لمعة من نور الايمان والطمأنينـــة وتمتم بكلمات لم أسمعها .

بربارة : (كالمأخوذة بحديث خالها) ثم ماذا يا خال ؟

صفرونيوس : ثم لم يلبث أن ذكره أحد رفاقه بحضور وقت الصلاة عندهم فأخذ يسوى رداءه وتوجه مع رفاقه الى ركن فى الكنيسة ليصلى بهم ولكنه عدل عن ذلك فجأة وأسرع بالخروج من الكنيسة وهرولت خلفه فقلت له : ما منعك من الصلاة فى بيت من بيوت الله ؟

بربارة : عندما رأيناك تتحدث معه على عتبة باب الكنيسة

صفرونيوس : نعم .. أتدرون ماذا أجاب ؟

الجميع : ماذا أجاب ؟

صفرونيوس : أيها الشيخ الحبر الجليـــل أخشى أن يجىء المسلمون بعدى فيصلوا فيها مثلى ويقولوا هنا صلى عمر فيأخذوها منكم ويتخذوها مسجدا لهم .

الجميع (مدهوشين) ياللشعور النبيل .. يا للسلوك الحكيم ! ياللعدل .

صفرونيوس : فلم أملك حينئذ ان ركعت امامه عرفانا وشكرا فانهضنى بقوة .. وفى وجهه شىء من الغضب وهو يقول : هذا لا ينبغى لغير الله .. قلت له اننا نركع لملوكنا .. أتدرون ماذا قال ؟

الجميع : ماذا قال ؟

صفرونيوس : أيها الحبر الجليل ما انا بكسرى ولا قيصر .. أنا عبد من عباد الله ؟ (يفغرون أفواههم عجبا) هل تذكرون يامارتا يوم جاء الامبراطور هرقـــل ليحج وليعلق الصليب الأعظم كيف دخل من الباب الذهبى فى ردائه الارجـــوانى يبـــرق بالذهب والجوهر .

مارتا : نعم وكان فى استقباله البطريق زكريا رحمه الله فأخذ يعنفه على فخامة ملبســـه وامره أن يخلع رداءه الارجوانى حتى يدخل الاماكن المقدســـة بما يليق بها من الخشوع والاجلال .

صفرونيوس : فانظرى شتان ما هذا وذاك .. ذاك احتاج الى تنبيه البطريق زكريا ليخلع ما عليه من الزينة الفاخرة .. وهذا يعيش طول حياته فى هـــذا الثوب المرقع البسيط لا عن عجز أو بخل ، فقد فتحت الدنيا خزائنها له فى المشرق والمغرب ، وان رعيته ليلبسون خيرا منه . ولكنه آثر أن يعيش كأنه حاج طول حياته خضوعا لله عز وجل .

(ستار)

أبي : زكي مبارك

بقلم : كريمة زكي مبارك

« لو شرب الصخر من رحيق الوجود بعض ما شربت لتحول الى أوتار وقلوب . فكيف أصمت والدنيا كلها تتارجح من حولي بانفاس الأزهار والرياحين، ولي قلب يتشوف الى الفنان الجمال تشوف الشمس الى أنداء الصباح » .

زكي مبارك

ولكن زكي مبارك صمت ، وان كان زكي مبارك لم يمت ، فادبه لا زال حيا وسيبقى حيا ، فقد زود المكتبة العربية بدرر نادرة ستبقى خالدة على مر الزمان . ولكن الذى مات أبي ، وعن أبي أتكلم .. أتكلم عن زكي مبارك الأب الحنون ، ولا أتكلم عن زكي مبارك الأديب الشاعر .

أتكلم عن أبي الذى مات وخلف لي الحزن بعد أن كان ملء السمع والبصر .

كان أبي رحمه الله في صحبة القلم دائما ، وكان لا يستطيب هذه الصحبة اذا صحبتها الضوضاء ورافقها الطنين والازعاج . فكان لا يستطيع الكتابة الا في الهدوء التام . وعلى هذا كنا دائما نقطن منزلا يتكون من طابقين : الطابق الاول يحتوينا جميعا ، والدتي واخوتي . وأما الطابق الثاني فقد كان خاصا به .

وكان أبي عندما يستيقظ في الصباح ونسمع وقع أقدامه ، تعد له أمي الفطور مع الشاي . وفي طريقه الى عمله يلقى الينا بتحية الصباح وبمصروف اليومي الذى كنت أصر على طلبه يوميا كل صباح . وعند الظهر يعود من عمله فيجلس معنا بعض الوقت ، يسأل عن احتياجاتنا ثم يتركنا الى الطابق العلوى حيث تحمل له أمي الغداء وتعود الينا بعد أن ينال منه ما يريد . وبعد العصر يستيقظ والدى من النوم حيث تحمل له أمي الشاى الى الطابق العلوى وبعدها ينزل لعمله ولا يعود الا في منتصف الليل ونحن نيام ..

وقد عشت سنوات طوالا والطابق العلوى هذا يشغل بالي ، بل كان أبي هو شغلي الشاغل، فكانت تدور بمخيلتي الكثير من الأسئلة التى حيرتني لفترة طويلة وأنا في الحلقة الاولى من سني حياتي .

من هذه الاسئلة على سبيل المثال لا الحصر ، لماذا يعيش أبي بمفرده في الطابق العلوى ؟

وماذا يفعل أبي وحده بمفرده في هذا الطابق؟ وما الذى يحتويه هذا الطابق ؟ ولماذا يعيش أبي وأمي كل منهما في طابق وكل في عالمه الخاص به ؟ ولماذا يغلق أبي هذا الطابق العلوى دائما بالمفتاح وهو خارج الى عمله ولا يتركه مفتوحا كي نراه ؟

ترى هل يحوى النفيس الغالي من الاثاث والرياش حتى بات أبي يخشى عليه من عبثنا ؟

كانت هذه بعض الأسئلة التى طالما حيرت أفكاري وعشت السنين الطوال لا أجد لها جوابا شافيا . حتى كان اليوم الذى صحبني فيه والدى الى الطابق العلوى أو الى العالم المجهول الذى رسمت له صورا كثيرة في مخيلتي . فاذا ويا للعجب ... أرى الردهة وقد غطيت أرضها باكداس مكدسة من الجرائد والمجلات، حتى يخيل اليك أنها فرشت بسجاد مصنوع من كتل من الجرائد والمجلات . وحوائط الردهة كلها قد اختبأت وراء مكتبات تعلو حتى تصل الى السقف وبها النفيس الغالي من الكتب الادبية والفلسفية .

وفي وسط الزحمة كانت هناك مائدة لا يظهر منها غير أرجلها التي بها تستطيع أن تحكم على أن هذه أرجل لمائدة مستطيلة ، والسبب ايضا هو أن الكتب والمجلات تغطيها وترتفع عليها حتى تقارب النجفة المعلقة في وسط الصالة ٠

وبينما أنا غارقة في ذهولي مما أرى ، رن جرس التليفون وحرت كيف أنتقل الى حيث أسمع الصوت، فليس هناك شبر واحد في الصالة خال من المجلات يستطيع المرء أن يمر منه ٠ واخيرا أصل الى الحجرة التي بها رنين التليفون ، وانا اغوص في الجرائد والمجلات ، فاجدلي في حجرة لابد وانها حجرةالمكتب وان كان هذا المكتب لا يظهر منه أيضا غير جوانبه ، أما أعلاه فقد امتلأ بالكتب والمجلات ٠ وأدقق النظر لأرى التليفون فلا أستطيع الا سماع صوته فقط أما اين التليفون فلست أدرى ٠ ويدخل أبي على وأنا في هذه الحيرة ويقلب الورق والكتب والمجلات التي فوق المكتب ويخرج من بينها التليفون ، ويسأل من الهاتف فيرد عليه الاستاذ أحمد حسن الزيات الذي يستعجله ارسال مقاله الأسبوعي لمجلة الرسالة فيبتسم أبي ويجيبه بأنه سيحمل المقال اليه في صباح الغد ٠

وأتوجه لرؤية حجرة أخرى هي حجرة الجلوس ، فاجد الاوراق والكتب والمجلات قد غطت معظم السجاد وجميع كراسي الصالون بلا استثناء ٠ ورفعت عيني الى حوائط الحجرة فوجدت الكثير من أبيات الشعر قد غطتها ٠

كان أبي رحمه الله اذا واتاه شيطان الشعر كتب ما يجول بخاطره فوق علبة كبريت أو ورقة أو أي شيء معه ، فان لم يجد هذا أو ذاك كتب فوق الحائط ما يدور بخلده ٠

وهالني ما رأيت وخيل الى ان باستطاعة والدي تركنا نلهو في هذه (الشقة) فلن نعيث بها تلفا حتى تصبح على أي حال باسوأ مما هي عليه الآن ٠ ونظرت الى أبي في دهشة وقلت له: مادام الحال هكذا ياأبي فلماذا تخشى أن نلعب هنا ، اننا لن نقلب (الشقة) رأسا على عقب أكثر مما هي عليه الآن ٠

فابتسم والدي وقال : ولكن اخشى أن تقلبوها عقبا على رأس ٠ فأعود في المساء فلا أجد ما كنت أكتبه في الصباح ٠

قلت في حديثي اننا كنا دائما نقطن منزلا يتكون من طابقين أبي وحده مع كتبه في الطابق العلوي ، ووالدتي معنا في الطابق الاول ٠ وكان همزة الوصل بين أبي وأمي ، بل بين أبي وبيننا جميعا جرس صغير يربط بين الطابقين ، فلو رن الجرس مرة واحدة لكانت أمي هي المطلوبة ، ولو رن الجرس مرتين لكان المطلوب أخي الأكبر وهكذا ٠

فكان كل منا يعرف بعدد دقات الجرس ٠ وكنت أنا على هذا أحمل رقم ٥ ، فلو رن الجرس خمس مرات لكنت أنا المطلوبة ، على أني لم أر في حياتي هذا الطابق الثاني الا بعد أن دخلت في الحلقة الثانية من عمري ٠

ورغم أن أبي كان يشغل الطابق الثاني بكامله وبمفرده فكان حضوره الى البيت لا بد وأن يصاحبه هدوء تام من جميع الموجودين في المنزل حتى يستطيع الكتابة ٠ وأذكر اننا كنا ننتظر خروجه بفارغ الصبر حتى نستطيع احداث الضجيج الذي يلازم عادة سنوات الطفولة الأولى ٠

كان أبي رحمه الله يحلو له كثيرا الجلوس في حديقة (الفيلا) يجاذبنا أطراف الأحاديث ونقرأ عليه أنا واخوتي بعض مقالاته أو أشعاره ٠ وحتى حين كنا نقرأ عليه هذه المقالات كان يحب الهدوء التام ٠

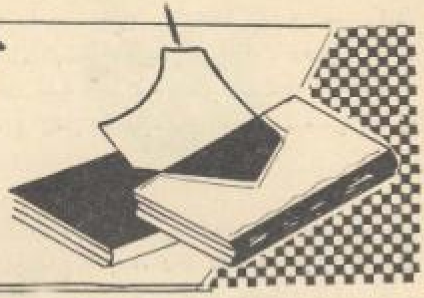
وفي مساء ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ مات أبي فحرمت الحنان والحب ، مات وخلف لي اليتم ، وكم أرقتني هذه الكلمة وما زالت ٠ وسأبقى أبكيه ما شاء لي الهوى ٠

مات أبي بعد ان فهمت معنى الهدوء ومعنى الأدب والشعر ٠ وفهمت لماذا كان أبي يحبس نفسه بمفرده الليالي الطوال ليكتب ويكتب ثم يكتب ٠٠٠ انه الخلود ، فلقد زود أبي الزكي المبارك المكتبة العربية بدرر نادرة خالدة على مر الزمان وسيبقى الزكي المبارك حيا في ضمير الشعوب العربية لأن درره التي خلفها باقية على الأزمان في ضمير هذه الشعوب العربية ووجدانها ٠

كريمة زكي مبارك

تعقيبات

بقلم : عباس خضر



على ضوء تجربتي في التفرغ

سألني أحد الزملاء الصحفيين — لى تحقيق صحفى عن تفرغ الأدباء والفنانين — عن تجربتى فى العام الذى يسرت لى فيه وزارة الثقافة والارشاد القومى أن أتفرغ لدراسة أدبية — سألنى الزميل : هل كان تفرغك تجربة ناجحة ؟ فأجبت بما كان فيهـا من ظروف النجاح ، وذكرت كذلك بعض المعوقات التى يشتمل عليها النظام القائم لتنظيم هذه العملية ، وأذكر أنه كان مما قلته أن توقيت التفرغ بسنة لا يحقق الاطمئنان التام للمتفرغ ، لارتباطه بعمله الأصلى من حيث ان فى فكره دائمـا أنه سيعود اليه ، وقد تفوته ترقية أو تتبخر منه درجة ٠٠ كما حدث لى فعلا ٠٠ فيذهب الاطمئنان فى الهباء ولا يتوافر الجو المقصود توافره لمصلحة الانتاج الذى تفرغ من أجله ٠٠

وقد يكون المتفرغ فى عمل حر بالقطاع الخاص مثـلا ، وليس من السهل أن يقطع عمله ثم يعود اليه ٠ لهذا وذاك اقترحت أن يكون التفرغ دائما لا موقوتا بمدة معينة ، وليس ثمة خوف من ذلك مادام الاختيـار قائما على أساس الانتاج السابق للمتفرغ الذى يتبين منه أنه من أهل الجد والدأب على الانتاج المفيد ، مما يجعله أهلا للثقة ٠

ولما سألنى الزميل الصحفى : هل كانت منحتك المالية مجزية ٠٠ تحرجت من الاجابة الصريحة ٠٠ لأنى فى الحقيقة وجـدت نفسى فى خلال تفرغى « متقشفا » لا متفرغا بالمعنى المقصود وهو تهيئة جو صالح للانتاج الأدبى أو الفنى بعيدا عما يقلق البال من أسباب المعيشة ، الى ما حدث من (لطش) درجتى التى لم أعوض عنها حتى الآن ٠٠

لذلك لم أكرر التجربة ، واكتفيت من الغنيمة بالاياب كما يقول المثل ، أو بالكتاب الذى جهدت ما وسعنى ، بل أكثر مما وسعنى ٠٠ أن أؤلفه ٠٠

ولقيت فى ذلك عنـا وشـدة ، لا بالنسبة لشخصى فانا قد تعودت على الكفاح والتقشف منذ كنت طالبا من الريف يعيش بالقاهرة وقد انقطعت أسباب امداده من البـلد ٠٠ ولكن ما ذنب أفراخ تكاثروا قبل عهد التفكير فى تنظيم الأسرة الذى يجرى الآن ٠٠ ؟

نقد ذاتى ٠٠

وندخل بعـد فى نوع من النقـد الذاتى ٠٠ لم أستطع صبرا على « فومها وعدسها وبصلها » أى فوم التفرغ وعدسـه وبصله ٠٠ ولم أستطع صبرا على صياح الأفراخ ٠٠ فقبل انقضاء المدة وجدتنى مضطرا الى كتابة مقال هنا أو اذاعة حديث هناك ، من الانتـاج « الخفيف » الذى يشغلنا دائما عن الانتاج « الثقيل » ٠

ومن المقـابلة بين « الخفيف » و « الثقيـل » نسـتطيع أن نتبين جـدوى التفرغ ، فالواقع أن الزملاء — وأنا منهم — تشدهم مطالب العيش ، الى « نثريات » الانتـاج الأدبى دون أن يجدوا فراغا لاغناء الحياة الأدبية بدفع « مبـالغ » كبيرة من الانتاج ترفع رصيد أدبنا الى المستوى المنشود ٠

وخلال الدراسة التى قمت بها فى مدة التفرغ — وهى فى تاريخ أدبنا الحديث — تكشفت لى حقائق رهيبة ، منها ما يتصل بسياق حديثنـا عن الشد والجذب بين الانتـاج الأدبى الكبير وبين أسباب المعيشة ، فقد رأيت كثـيرا من الأدباء ذوى المواهب

والعثرات العميقة تخلفوا عن الركب في بعض الطريق ، وكان يرجى ان يكون لادبنا بهم شأن او ذلل لهم ما عاقهم عن مواصلة المسير ، وغمرتهم لجة النسيان بسبب من جنس معوقاتهم ·· اذ شغلت شواغل العيش «نفسها» من بعدهم – ونحن منهم – عن انقاذهم من غرق النسيان ودراستهم دراسة تصل الماضي بالحاضر وتربط الفرع بالأصل ·

وهانحن اولا، نرى الدولة تهتم بالرعاية لتنقذ الجيل الحاضر من مثل ما اغرق الجيل السابق ، ولكننا نرى التنفيذ دون مستوى الاهتمام الكبير بمراحل تعود القهقرى الى الوادى الماضى السحيق··

صورة غير كاريكاتيرية

التنفيذ ·· وما ادراك ما التنفيذ ! يقصد طالب التفرغ الى ادارة التفرغ فيجدها متفرغة ·· مديرها لا يحضر الا يومى الاثنين والخميس ·· هكذا يقال لك وان كنت تفتقده حتى فى هذين اليومين ·· وقد تجد هناك موظفا يعطيك « الاستمارة » التى تملؤها ، ثم تعيدها بعد اجراء مايلزم من التزكيات، **وتنتظر ··· اللجنة ، وما ادراك ما اللجنة !·**

وعندما تحدث المعجزة وتجتمع اللجنة وتنظر فى الطلبات وتقرر منح التفرغ لمن تختاره – يكون قد مضى على تقديم الطلب اكثر من سنة ·· وعندما تقع المعجزة الكبرى وتجتمع لجان « البعثات » التى لا تدرى ما دخلها فى الموضوع ، ويمر « الورق » من موظف الى آخر ومن ادارة الى أخرى ، ويصدر الأمر النهائى – يكون قد مضى أكثر من سنة أخرى ·· !

وينظر المتفرغ فيجد ان المنحة المالية المقدرة له اقل مما يتقاضاه الآن ·· فقد تغيرت حالته المالية فى خلال السنتين أو الاكثر منهما ·· أخذ علاوة ·· رقى ترقية رفعت مرتبه ·· اى شىء آخر·· فيشكو طالبا الزيادة · ويقول مدير الادارة : لا ، قد انتهى الأمر ·· وهو رجل رقيق ، فيعقب على ذلك بانه سيرفع الأمر الى اللجنة ، ولكنه يعد ·· أو بالأحرى يوعد ·· بانه سيعارض الزيادة ! لأنه رجل رقيق يحتاج الى الهدوء ويبغى الراحة . وفتح الشباك وما يترتب عليه من كثرة الطلبات و « دوشة الدماغ » لا تتفق مع مايحتاج اليه ويبغيه من الهدوء والراحة ·

ولايزال الشاكون من التقدير الاقل منتظرين المعجزة: اجتماع اللجنة، واذا وقعت المعجزة الكبرى وتغلبت اللجنة على «وعيد» مدير الادارة ، فسيكون ذلك – ان كان – بعد أن تتغير الأحوال المادية للمتفرغين ·· فيعيدون الشكوى ، وتتصل الحلقات ، ويؤذن « ديك ألف ليلة » فى نهاية كل منها ··

هذه صورة لجانب من تنفيذ الفكرة الكبيرة التى ترمى بها الدولة الى اثراء حياتنا الادبية والفنية بما يرجى منها · وهى صورة قد يتبادر الى ذهنك أن فيها ميلا الى مبالغة « الكاريكاتير » ولكنها الواقع نفسه كما يقع ، اؤكد لك ·

النتيجة الحتمية

وماذا تكون النتيجة ؟

هى ما نراه الآن من كتابات « نثريات » يطالعنا بها بعض المتفرغين فى الصحف والمجلات ، وما فعلته انا ونقدت نفسى فيه قبل ان أتعرض لنقد الزملاء··

محررون فى الصحف اخذوا التفرغ ، ولكن مازالت الصحف نفسها تنشر لهم كما كانوا قبل التفرغ ، مع فارق واحد بطبيعة الحال ، هو أنهم الآن يكتبون « بالقطعة » بعد أن انقطعت مرتباتهم وحلت محلها مرتبات التفرغ ·

وغير محررين فى الصحف يصنعون نفس الصنيع ، يقدمون « نثريات » فى الاذاعة والمجلات ·

وماذا تكون النتيجة الثانية ؟

هى النتيجة الحتمية ·· الانتاج « الخفيف » لايزال عقبة فى طريق الانتاج « الثقيل » ·

وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا !



● قال لويس عوض فى حديث بمجلة الاذاعة : ان محنة الرواية والقصة القصيرة عندنا تعود الى جملة اسباب «**اهمها ذلك القرار الذى اتخذه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب منذ سنوات بضرورة استعمال اللغة العربية فى حوار القصة ، وقصر الجوائز على القصص الخالية من الحوار العامى** » .

ثم قال فى تقديم قصة «الشحاذ» لنجيب محفوظ التى بدأت تنشر حلقاتها الاهرام – قال انها تضع نجيب محفوظ فى الصف الاول من الروائيين العالميين ، أو شيئا مثل هذا ، كما قال مثل ذلك من قبل فى قصص أخرى لنجيب محفوظ .

والمعروف أن نجيب يكتب الحوار باللغة العربية ، ومعنى هذا أن الحوار الفصيح لا يعوق القصة عن التقدم ولا يعرضها لمحنة .

فاى الامرين نصدق ؟!

● قرأت أن محافظ البحيرة خصص مبنى جديدا لجمعية أدباء دمنهور مؤثثا تأثيثا كاملا .

وبهذه المناسبة أذكر ما يلى :

جمعية الادباء التى تضم معظم أدباء الجمهورية تنزل ضيفة على نادى القصة .

جمعية الشعراء (يرأسها عزيز أباظة) لا مكان لها .

رابطة الادب الحديث تستأجر حجرة من (باطن) أحد النوادى .

الجمعية الادبية المصرية تشغل شقة رطبة بدور أرضى فى منزل قديم ، تعوم فى (النشع) أواخر الصيف ، وتهدد المسنين أمثالى بالروماتيزم فى الشتاء .

الدكتور حاتم لن يرضى عن ذلك الوضع عندما يعلم به . لهذا أثير الموضوع ..

● الدكتور محمد مندور يستعمل «ورق الكربون» فى كتابة مقالاته ... فيذيع نسخة فى البرنامج الثانى للاذاعة ، وينشر اخرى فى احدى المجلات ..

وبذلك يضرب عصفورين بحجر واحد ، ويتقاضى أجرين على مقالة واحدة .

● قرأت فى مقال «تشييد الاناشيد» للدكتور فؤاد حسنين (العدد ٧٧ من الرسالة) قوله :

« ويفيدنا تشييد الاناشيد أيضا فى الفصل فى هذه الاحكام التى تلقى جزافا حول شعرنا جاهليا كان أو اسلاميا فالمؤرخون يقررون فى شىء من الجرأة أن امرأ القيس مثلا أول من وقف على الاطلال وبكى واستبكى » .

كنت أود – وما زلت – أن يذكر لنا الدكتور من من المؤرخين قرر هذه الاولية لامرىء القيس .

● كان مذيع التليفزيون ينطلق فى الحديث عن رؤية الهلال وثبوت شهر رمضان ، والمذيع يقول :

« .. عملا بقوله تعالى صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته !! »

وفى مناسبة أخرى قال مذيع آخر :

« ... حمزة خال الرسول عليه السلام !! »

أعتقد أن مثل هذه الاخطاء تجعلنا نفكر فى تصنيف المذيعين ، بحيث يكون كل منهم ذا اختصاص معين ويقوم بتقديم ما اختص به .

● استمعت مساء الاربعاء الماضى الى مناقشة عجيبة فى برنامج « مع النقاد » بالبرنامج الثانى للاذاعة حول قصة « النصف الآخر » للاستاذ عبد الحميد جودة السحار .

وكانت المناقشة بين الدكتورة لطيفة الزيات وناقد كبير .

ووجه العجب فى المناقشة أن الناقد جعل طول الوقت يردد أن المؤلف أراد أن يعالج فكرة فاخترع لها الحوادث .. مما دعا المؤلف أن يقسم له انه لم يرد ذلك ..

وكانت الدكتورة لطيفة تناقش ذلك الناقد ببصيرة أدبية ، ولكنها لم تفلح فى زحزحته عن ذلك الجدل العقيم الذى ظل يبدىء به ويعيد كأنه لا يسمع ما يدحض قوله .

هل الفكرة نابعة من الحوادث أم أن الحوادث نابعة من الفكرة ؟ جدل لا محصول له .. تماما مثل البيضة والدجاجة .. ايهما الاصل !

ازاء ذلك اضطر الأخ مقدم الندوة (ابراهيم الصيرفى) الى الخروج عن حياده ومعارضة الناقد الذى وصفه المرحوم العقاد – فى احدى فكاهاته – بشيخ النقاد ..

عباس خضر

حول الأدب في الشرق

بقلم عبده بدوى

بين التراث والمعاصرة

يخيل الى أن كلمة « التراث العربى » قد اصبحت الآن شبحا ثقيلا يكاد يصيب الكثيرين بالدوار ، وانا لا اريد أن احدق فى وجوه هؤلاء الذين عملوا بصبر واناة وذكاء على تحطيم هذا التراث ، وتشويهه ، والضغط عليه ، ولكنى أريد أن اذكر أن فى حياتنا الفكرية الآن ما يشبه « المسلمات » بأن التراث العربى عقيم ومنحط ولا جدوى من الالتفات اليه ، وان كل مواطن الآن يحمل عار هذا التراث ، وأن عليه أن ينتقم لنفسه منه بالسخرية والاستهزاء والدهشة من الذين يحاولون الحديث عن هذا التراث ، بل ان بعض المفاهيم السياسية سرعان ما تتناثر على الأفواه لتقول : ان هذا رجعى لانه حقق كتابا ، وان هذا ضد العصر لأنه أطال الوقوف فى كتاباته عند بعض العصور الماضية ، أو لأنه يدرس فترة بعينها فى كلية من الكليات الجامعية .

وأنت اذا سألت الكثيرين الآن عن الحضارات القديمة ــ فى المنطقة العربية ــ كالفرعونية أو البربرية أو الفينيقية ، وأين هذه الحضارات الآن فى حياتهم وسلوكهم ، لأجابوك بصوت متهدج ، وعيون شبه حالمة ، بأن هذه الحضارات ماسات زين بها جيد الانسانية ، ولظلوا يحدثونك ــ حديث الشعراء ــ عن روعة هذه الحضارات، دون أن يميلوا الى الجانب الآخر الذى لا تخلوا منه أية حضارة من حضارات العالم .

وليس لهذا من سبب الا انه وجد عدد من الباحثين والأثريين ، ووجد عدد آخر يعتقد أن فى الوقوف عند هذه الحضارات ما يهدهد فى نفسه الغيظ على الحضارة التى استوعبت هذه الحضارات ، ثم ابتلعتها .. وفى ضوء هذا نرى أن هذه الجماعات تزين هذه الحضارة ، وتتعاطف معها ، ولا تتحدث عنها الا بقداسة ، بل وتنفض الغبار عن بعض الرموز والأساطير ثم يكتشف فى الأعمال المعاصرة فجاة أنها تمت بصلة حميمة الى هذه الرموز والأساطير القديمة .. ولا لوم على هؤلاء جميعا مهما تكن الأغراض التى تحركهم ، ولكن الذى نريد

الوصول اليه هو انه يمكن « **تزيين الحضارة** » في عين المواطن الحديث ، وانه يمكن للمواطن ان يتعاطف مع اية حضارة ، ويمكن ان يسند اليها ظهره وهو يعيش ، بل يمكن ان يشهر من أجلها القلم والسلاح معا !

وانا لا أريد أن أزور في التاريخ ، فكل حضارة لها أخطاء ، ولكن كما انه يوجد بيننا الآن من يقدم بعض هذه الحضارات امام اعيننا كالماسة بحيث لا يبهرنا منها الا الضوء من كافة الزوايا ، فان الذى نريده بالنسبة للحضارة العربية أن تقال فيها كلمة الحق الى جانب كلمة الحقد التى يتصايح بها الآن الكثيرون اما نقلا عن المستشرقين ، واما تنفيسا عن غضب قديم متوارث ، واما ظنا بأن الحضارة المعاصرة لا بد ان تكون معلقة فى الهواء دون الاعتماد على الجذوع والجذور والأرض الطيبة ٠

وليس فى هذا شىء من المصادرة ، لأن للكاتب أن يدين ما يشاء من العصور ، وأن يشجب مايعتقد من التيارات ، ولكن عليه أن يبرر ما يقول ، وأن يعطى الدليل دائما فى هذه القضايا الخطيرة ، اما أن يحاكم حضارة بجرة قلم ، أو يعدم عصورا بدون دليل قامر لا يبدو معقولا ولا يستحق صاحبه الاحترام ، ومع هذا فنحن نجد كثيرا من هذه «المسلمات» فى بعض ما يكتب ، وبخاصة فيما تكتبه الأقلام المهاجرة الى لبنان ٠

وفى الوقت نفسه يجب على الكاتب الا يقف عند فترة بعينها فى تاريخ الأمة فى أكثر انتاجه وتفسيراته وحبه ، فاذا ترك هذه الفترة « للنزهة » فى فترة أخرى حمل المعول ، وظهر على وجهه الحقد كلما ارتطم هذا المعول بمجد شامخ ، أو خلود يزيد تألقه تحت وقع الضربات ، ذلك لأن هذا الكاتب مطالب باحتضان كافة الدورات الحضارية فى بلده ، ومطالب بأن ينظر اليها بروح منصفة ، اما أن يضرب فترة بأخرى ، أو يرى الخصب المطلق فى واحدة ، والنضارة الباقية فى الثانية ، والعقم الأبدى فى الثالثة فشىء يحمل على الريبة ، ويحمل على الخوف فى الوقت نفسه ٠

فمن الضرورى أن ينظر الانسان الى تاريخ بلده على انه « **وحدة حضارية** » متكاملة ، مهما كانت « حدة » الفترات التى انتقلت اليها ، ذلك لأن الزمن قد حول — بلا شك — هذه الحدة الى حب كبير يلف كل الأدوار الحضارية ، بل الدور الحضارى الواحد ان صح هذا التعبير ، ولكننا ٠٠ البعض منا يفتقد هذه النظرة !

فاذا تركنا محاولة الصراع فى « **خيوط النسج الواحد** » وجدنا أن هناك — فى عالم الفكر — ضغطا مستمرا على الحضارة العربية ، ضغطا يأخذه وضع كسارة البندق التى تحيط بالضحية من كل الجوانب ثم تضغط وتضغط من الخارج ، فاذا أضفنا هذا الضغط الخارجى الى الضغط الداخلى الذى لم يصغ الى الآن تماما ، وجدنا الصراع والتمزق اللذين يشلان الفكر فى المنطقة العربية ٠ ووجدنا الضيق الذى يأخذ بخناق الحياة ٠

ولعل من الانصاف أن نذكر أن «القوت الفكرى» الذى يوجد عندنا لا يكفى طموح الانسان المعاصر ولا احتياجاته النفسية والاجتماعية ، وانه لابد لهذا الانسان من أن يمد عقله وقلبه الى أكثر من مكان بحثا عن الزاد ، ولكن ألا يجب أن نذكره بأن عليه ألا يضيع تماما فى المناطق التى يهاجر اليها بعقله وقلبه ، وأنه لن يعصمه من هذا الضياع الا أن يكون مستوعبا لحضارته التى يجب أن يستوعبها قبل أن يبدأ الرحلة المزهرة ٠

صحيح ان الأصوات المريبة تناوشه من كل مكان بأنه لا شىء عنده سوى العقم والجدب والارض الخراب ، ولكن اما آن لهذا الانسان أن يرفع عنه هذه الوصاية الخفية ، ثم يأخذ فى التجريب بنفسه ويحاول أن يقترب — ما أمكن — من تراثه المتطور كما يقترب من أى تراث بعيد عنه ٠

نحن لا نقول بأن التراث خير كله ، ولا نريد لهذا التراث بأن يتزاحم على أقلامنا بالصورة التى تموت فيها قطع الضوء فى كل ما يكتب ، ذلك لان مما لا شك فيه أن هناك نوعا من التراث لا يموت مادام ينظر اليه داخل عصره ، ثم ان التراث كله لا يبدو شبحا باردا يتنقل على الحياة المعاصرة ، ويحاول أن يخفيها بعباءات سوداء ، ذلك لأن الحاضر المتطور — ليس كما يتصور — ضد التراث ، فمما لا شك فيه أن الحاضر قد يحيى الذات ، ويضيئه بحيث

يبدو من بعيد كنجم ثابت مزدهر . فعلى المستوى السياسي نجد اشتراكيا كأبي ذر يتجول بيننا الآن . وعلى المستوى الفكري نجد عددا كبيرا يتنفس في جو الحياة الآن كابن خلدون ، وابن رشد ، وابن سينا ، وأبي العلاء ، والمتنبي .. الخ .

ولكن بالرغم من كل هذا نجد انه لانزال توجد عندنا الخشية من الالتفات الى الماضي العربي ، كأننا نريد أن نؤكد اننا لا ننتمي الى أب او جد ، او ان مسح الغبار عن جبهة شامخة في التاريخ يؤثر على الحياة التي نعيشها الآن ، أو كأن الشجرة لكي تبقى خضراء يجب الا تتصل بجذع او جذر أو ارض طيبة .

والآن هل أريد أن أقول ان بعض المستشرقين قد شككونا في ماضينا ، وان الذين يقفون عند فترة واحدة من فترات التاريخ يحولون هذا الشك الى مايشبه اليقين ، وان أصواتا خشنة تصيح اليوم من المنطقة العربية – ومن منطقة بذاتها – بان كل تراث مقبول في العالم ما عدا التراث العربي ، بل لقد وصل الحد الى القول بالاعتراف بالتراث الجاهلي قبل الاسلام ، اما بعد الاسلام فشيء لايمكن قبوله . ومن خلال هذا التصايح سمعنا أصواتا تقول بان هذا التراث ثور لا بد من نحره . وان البعض يفخر بان كلمة العرب لم تخط من قلمه من عدة سنين .

وقد نسمع من البعض دائما بان حضارتنا ليست عشة ، وان على كل انسان ان يصكها ، ونحن نقول له سنصك معك هذه الحضارة . ولكننا فقط نريد منك ان توضح لنا البديل الذي يقوم مقام هذه الحضارة ؟ وكيف يتسنى لنا أن نتسلخ من انفسنا ثم نعتنق ماتريد ؟ ان المخاصمين لهذه الحضارة يقفون عادة الى جانب الفرعونية او البربرية او الفينيقية لمجرد الضغط على الحضارة العربية . وقد نرى البعض يذهب – كسلامة موسى – الى انه لا حد لأخذنا من الحضارة الغربية مهما كان الأخذ . وقد نرى البعض يقف بنا عند حضارة البحر الابيض المتوسط . ونرى البعض يشد الى آسيا والبعض يشد الى افريقية ، ولكن الجميع يتفقون انه لا بد من الانتماء الى شيء . اما ان نكون نحن شيئا ، اما ان تصبح الأجزاء كلا فشيء لا يمكن قبوله . لهذا التصايح العنيد الغاضب الذي يظهر بالحاح بين الحين والحين، كلما سنحت فرصة ذهبية لأخذ مكان واضح تحت الشمس العربية في المنطقة .

وقد يقول البعض : ان التراث العربي نشأ في أحضان الاسلام ، ثم يفكر في نظرية فصل الدين عن الدولة التي تمت في اوربا ، وكان اوربا قد انفصلت تماما عن تراثها الروحي ، قد يفكر في هذا ويتجاهل تماما أن الاسلام دين ونظام للحياة ، وان تراثه في الوقت نفسه يؤمن بالعدل والنظام والتقدم واحترام الوجود . وفي ضوء هذا يصعب **استعارة** النظم التي تفصل فصلا حادا وحاسما بين الدين والحياة او التي تقضى تماما على الدين لسبب واحد هو أن الدين الاسلامي يختلف اختلافا جوهريا عن الدين الذي نظر اليه الشرق والغرب هذه النظرة .. صحيح ان الحياة يجب أن تتحرك وان حركتها لا يجب أن تتوقف باسم اى دين من الاديان ، ولكن من خلال هذا التحرك يجب الا نقيس ظروف دين على ظروف دين آخر ، او لمجرد ان آخرين فكروا في هذا الأمر ، أو لأن أخطاء التطبيق في هذا الدين قد كثرت في بعض العصور، ذلك لأنه مادامت عندنا قاعدة تقول بالتطور الدائم ، وانه لا يوجد شيء يعرقل هذا التطور ، وان نظرتنا الى الحكم والحياة تنبع من ظروفنا وتاريخنا ، ما دامت نظرتنا الى الحياة هذه النظرة ، وما دام تراثنا الروحي قادرا على أن يمدنا بالثورية والانسانية ، فلماذا ننظر الى التراث هذه النظرة . ولماذا يشككنا «الصوت العالي المريب» في كل ما يتصل بالمتطور والمضيء في تاريخنا .

نحن لا نعني عودة الى الوراء ، ولا نعني اجترارا لما قبل ، وانما نعني أن نكون أنفسنا ونحن نحاذي الحياة بل ونتقدمها ، نعني أن نكون مرتبطين بالقوى الثورية الجديدة الصاعدة من الحقول والمصانع ، نعني أن نواصل البناء دائما على الا يكون في اذهاننا – كما يحاول البعض أن يؤكد – أننا لا نحمل عار حضارة ، وعقم عصور كاملة ، أو أننا ننتمي الى دورة دون أخرى في الدورات الحضارية التي مرت على المنطقة الافروآسيوية . ونحن لا نحجر على الاصوات التي تقول بهذا صراحة ، أو التي تدس هذه الأقوال في رموز ، ولكننا فقط نطالبها بان تقدم ادلتها ، وهي تدس السم في قوت هذا الشعب . وق

الوقت نفسه تتساءل لماذا يبدو صوتها زاعقا وخجلا في هذه الايام ؟ وما الذي يغريها الآن بهذا الصياح ؟ والى متى ؟

لقد وضحت ان جانبا من التراث يمكن أن يبنى بالثورة ، وأن جانبا منه يستحق أن ينسف . وفي الوقت نفسه تتساءل **مرة ثانية** .. هل صحيح انا عرفنا تاريخنا . أليس هذا التاريخ مهملا ومعرضا للضياع وينظر الى المشتغل به نظرة غريبة . ألاتوجد أكداس منه لم تلق الى الآن حتى الفهرسة في دارالكتب وفي غيرها من الدور . وكيف نحكم على شيء لم تظهر الى الآن صورته كلية . فنحن نعرف بعضا منه في حياتنا ، وكل بلد عربي يعرف بعضا آخر منه . اما النظرة الكلية لهذا التراث العربي . أما الحكم الصحيح على قيمة تراث هذه الأمة ككل فشيء لم يتحقق الى الآن ، ومن هنا نسأل **مرة ثالثة** .. كيف ندين امة كاملة ببعض الادلة الهزيلة التي توجد بين أيدينا الآن .

ان البعض قد يتصور أنه وهو يدين ماضي هذه الأمة يخدم أوضاعا قائمة . ولكن الحقيقة تؤكد أن الانسان الذي يعكف على وثيقة من البردي ، أو يريق ماء عينيه على مخطوط ، أو يفتش عن كلمة ضائعة في نقش من النقوش ، ما دام يقوم بكل هذا في وضوح رؤية ، وفي احساس بالمعاصرة وايمان بقيمة العلم .. مادام يقوم بكل هذا فانه لايقل قامة عن هذا المثقف الذي لا يتحدث الا عن الشعارات ، أو يجلس في مقهى ليتكلم عن السأم والجنس ، او يأخذ في تصنيف الناس ، أو يتحدث عن تغيير قادم في بعض المناصب ، او يشير بالالتفاف حول هذا والانصراف عن ذاك .

واخيرا فليس معنى هذا أن نحرق البخور حول الحضارة العربية ، ولكن معناه الا نكون ارضا للذين يبدرون العار الآن باسم الحضارة العربية ، ومعناه الا نتلقى الكلمة بحب ، ولكن أن نفتش فيها بذكاء

ان عندنا الآن من يستند الى الثقافة اليونانية ، ومن يستند الى حضارتي الشرق والغرب ، ونحن لا نريد الا ان نقول له ، فلتكن الأرض التي تقف عليها متعددة الطبقات ، ولتكن احدى هذه الطبقات الشريف والمضيء من تراثك العربي .

ان فرصة الانسان العربي في أن يقف بدون خجل ، وبدون عار لن تتحقق تماما الا في هذا العصر ، وأن كل هذا لن يتحقق الا اذا وثق بنفسه والا اذا نحى من أمامه الحاقدين عليه ، الا اذا نقل « المؤشر » عن هذه المحطة المشبوهة التي لا تكل عن الشوشرة على ماضيه وحاضره .

انك قد تفتح قلب الهندي أو الياباني فلا تعثر الا على الحب لكل ماضي الهند وماضي اليابان ، بل اذا فتحت قلب انسان في المنطقة العربية فانك لابد ستجد هذا الحب الكبير .. واذا كانت شبكة التشويش الصوتية تسد منه الأذن في الحين بعد الحين !

ومهما يكن من شيء فاذا عجز الانسان المعاصر عن ان يحب حضارته ، أو اذا ظل مترددا في القبول والرفض في هذه الفترة الذهبية من تاريخه ، فان عليه أن يجثو بعد ذلك على ركبتيه ، ثم ان عليه أن يغمض عينيه وهو يطلب بأن يعطوه « الحضارة الغربية » ليلبسها على جسمه وأحاسيسه ، وفي هذا الحال لن تتغير صورة المواطن العربي عن صورة المواطن التركي .. او اي مواطن آخر قبل أن يلبس اية حضارة نفسه واحاسيسه .

ولعل هذا يرضي الفئة التي ظلت دائما تناوش الحضارة العربية ، وقد يتحقق لها ماتريد .

عبده بدوي

رسالة العلم

البنسلين .. من انجلترا .. الى أمريكا .. الى مصر !

للدكتور عفيفى محمود

ربما يبدو الحديث عن البنسلين اليوم حديثا قديما مستهلكا، وخاصة بعد ان انقضت على اكتشافه فترة من الزمن تزيد على ثلث قرن ، اكتشف خلالها عديد من مشتقات البنسلين وغيره من المضادات الحيوية ، استعملت جميعا فى شفاء مختلف الامراض الميكروبية الخبيثة والبسيطة واصبحت شيئا مالوفا فى حياة الناس ، وان ظل البنسلين اشهرها جميعا لانه أول عقار اصبح فى متناول الطب بكميات كافية للتطبيق فى المرحلة التجريبية الاولى ، وقد شاءت عناية الله ان يتوافر البنسلين فى وقت كان العالم فى اشد الحاجة اليه لانقاذ الآلاف من ضحايا الحرب الثانية .

الا أننا نرى للحديث عن هذا العقار السحرى اليوم بالذات ضرورة خاصة لسببين :

أولهما : ان قصة اكتشافه وانتاجه ضمت فصولا رائعة من الكفاح الرائد والتعاون المثمر بين العلماء فى مختلف التخصصات ، وهو ما نحب أن نجعله اليوم نصب اعين علمائنا العرب وهم يجتازون بالبلاد مرحلة هامة وحيوية فى طريق الاستقلال الصناعى والاكتفاء الذاتى ، كما ان النجاح فى صنع هذا العقار كان فوزا للانسانية وانتصارا مبينا للجوانب الخيرة للعلم الذى داوى بيمناه ما جره بيسراه على البشرية من دمار من جراء صنع القنبلة الذرية الذى تم فى نفس الوقت تقريبا .. وما احوج العالم الآن ان يتأمل هذا الدرس وهو يستقبل عاما جديدا ويبدأ به صفحة ناصعة مشرقة ، سطورها المحبة والسلام .

أما السبب الثانى ــ وهو ما نراه اكثر التصاقا بنا نحن العرب ــ فهو ان آخر الانباء تقول ان العلماء العرب قد نجحوا فى صنع البنسلين فى معامل القاهرة ، من خامات محلية ، وبأيد مصرية .. واصبحت الخطوة التالية ان تتولى المؤسسات الدوائية اخراج تجارب العلماء من المعامل الضيقة الى المصانع الواسعة ، لكى يغمر اسواقنا فى القريب بنسلين مصرى توفر به آلاف الجنيهات من العملة الصعبة وتفتح بصناعته المجال امام خبرة الجيل الجديد من العلماء العرب وامام آلاف الايدى العاملة من ابناء هذا البلد ..

والبنسلين ــ **كما هو معروف** ــ مادة يفرزها نوع معين من الفطريات ــ (وهى نباتات دنيئة) ــ قريب النسب من العفن الاخضر الذى نراه أحيانا على الخبز والجبن اذا طال حبسهما فى مكان رطب دافىء .. وقد اشتق اسمه من الاسم العلمى لهذا الفطر «بنسليوم نوتاتم» ، ومن اهم خصائص هذه المادة انها تمنع نمو البكتريا وتوقف تكاثرها ، وهذا هو جوهر فعلها فى علاج الامراض الميكروبية .. ويستخدم البنسلين ومشتقاته فى علاج كثير من هذه الامراض كالدفتريا والجمرة الخبيثة والحمى القرمزية والحمى المخية الشوكية ، وكافة انواع القروح والالتهابات ، كما نجح فى علاج بعض الامراض الخبيثة مثل الزهرى والسيلان وهو من اقدم الامراض التى عانت منها البشرية .

بدأت قصة البنسلين منذ حوالى ستة وثلاثين

عاما فى احد مستشفيات لندن حيث كان السير الكسندر فلمنج يجرى بحوثه على البكتريا ، وكان يزرعها فى اطباق خاصة فتنمو وتتكاثر وتتخذ شكل بقع بيضاء معتمة .. وبينما هو يفحص هذه الاطباق ذات يوم اذ به يلاحظ فى احدها بقعة اكبر حجما من سائر البقع البكتيرية، وكان لونها اخضر مائلا للزرقة مما يقطع بانها ليست البكتريا التى الفها والتى زرعها بنفسه .. ولم تكن هذه البقعة الدخيلة الا مستعمرة لفطر البنسليوم ، تسللت جراثيمه من الهواء الى داخل الطبق حيث نمت وتكاثرت ، وقد استرعى انتباه الباحث ان المنطقة المحيطة بهذه البقعة الفطرية خالية تماما من البقع البكتيرية مما جعله يشك فى ان لهذا الفطر دخلا فى ايقاف نمو البكتيريا ، فقام بعزله وزرعه مستقلا فاذا به بعد اسبوعين من تكاثره يفرز سائلا اصفر لم يكد فلورى يصب قطرات منه فى انابيب عكرة بالبكتريا حتى صفا لونها ولم يعد للبكتريا فيها اى اثر ..

وعندما عرض فلمنج ابحاثه على الهيئات العلمية فى انجلترا لم تعره اهتماما ، بل اعتبرتها نوعا من «المطارة» لا ترقى الى مرتبة البحث العلمى ، وكان من الشائع انذاك ان «لبخة» من الخبز العفن تساعد على اندمال الجروح !! ولم يخطر على بال احد ان اكتشاف فلمنج هو احد اللقاءات الرائعة النادرة بين العلم والخرافة !! .. وهكذا طويت ابحاث فلمنج بين صحائف النسيان عشر سنوات الى ان نشبت الحرب العالمية الثانية ، وراح الالوف من الجرحى ضحية التلوث الميكروبى ، ولم تسعف مركبات السلفا التى كانت شائعة آنذاك فى علاج هذه الحالات التى كانت تنتشر بسرعة مخيفة .. وعندئذ خطر لبعض البحاث الانجليز ان يرجعوا الى ابحاث فلمنج ، وكان ان انقطع نفر من اطباء جامعة اكسفورد — وفى مقدمتهم الدكتور فلورى — لاجراء تجارب تربية هذا الفطر واستخلاص افرازه فى صورة نقية ، ودراسة خواصه الاقرباذينية — وبخاصة اثره على كريات الدم البيضاء — فكانت النتائج مبشرة واعدة .. فبدأوا بتجربة ما حصلوا عليه من البنسلين فى علاج المرضى ونجحوا فى انقاذ حالات خطيرة قليلة ولم يقف فى وجه التوسع فى استخدامه الا ضآلة الكميات التى امكن الحصول عليها، اذ كان يلزم مائة جالون من السائل الفطرى للحصول على جرام واحد من مسحوق البنسلين .. وعلى الرغم من كل هذا فان انجلترا التى كانت مشغولة بمستعمراتها ومنهوكة بالحرب اقتصاديا وبشريا ، لم تستطع تمويل مشروع صناعة البنسلين على نطاق أوسع ، فكان ان هاجر فلورى وزملاؤه الى امريكا التى تبنت المشروع ، وتضامنت الشركات مع الحكومة فى انفاق ثلاثين مليونا من الدولارات على تطوير ابحاث صناعة البنسلين حتى اصبح الناتج منه كافيا لسد حاجة المستشفيات الحربية وحسب .. وبمزيد من الجهد والانفاق ازداد هذا الناتج حتى اصبح البنسلين فى اعقاب الحرب فى متناول الجميع بعد ان كان العالم كله لا يملك من هذا العقار السحرى عام ١٩٤٢ الا ملء ملعقة شاى استغرق صنعها ثلاث سنوات كاملة !!

وفى اثناء السنوات العشر الماضية تطورت صناعة البنسلين تطورا كبيرا ، فبعد ان كان يستحضر على شكل بلورات تمر فى الدم وتخرج سريعا مع البول بحيث يتحتم حقن المريض به كل ثلاث ساعات ، اصبحت مستحضراته مع مادة البروكايين المعوقة يستمر فعلها فى الدم يوما كاملا .. وقد نجحت البحوث اخيرا فى تحضير صور من البنسلين تقاوم فعل العصارات الهضمية وبذلك اصبحت فى الطريق الينا اقراص منه يمكن تناولها عن طريق الفم دون حاجة الى وخز الابر وما تسببه من آلام لذوى الجلود الحساسة ..

وبخلاف البنسلين خرج الى الوجود عديد غيره من المضادات الحيوية اهمها :

« ستربتومايسين » و « كلوروما يستين » و « اورومايسين » وجميعها افرازات فطرية ... و«تيروثريسين» و « باسيتراسين » و«بوليميكسين» وهى افرازات بكتيرية، ولكل منها استعمالاته الخاصة وعيوبه التى يعمل الطب على تلافيها ..

ورغم المحاولات العديدة لمعرفة التركيب الكيماوى لمادة البنسلين — كخطوة اولى وضرورية لتاليفه او « تخليقه » ، الا ان انتاجه عن طريق تربية الفطر واستخلاص افرازه ما زال هو الطريق الافضل والارخص ، ولهذا السبب فان النجاح فى صناعة البنسلين ما زال رهنا بتحسين طرق تربية هذا الفطر وحمايته اثناء نموه من الميكروبات الدخيلة ،

والحصول على افضل المواد الغذائية اللازمة لنموه وتكاثره ، وتوفير احسن الظروف والعوامل المساعدة على تكاثره وزيادة كمية افرازه ..

وفي امريكا – حيث تزدهر صناعة منتجات الالبان – فان ما يتخلف عن هذه الصناعة من السائل المعروف باسم «الشرش» يعتبر مصدرا رخيصا وغنيا بسكر اللبن «لكتوز» والبروتينات والفيتامينات اللازمة لنمو فطر البنسليوم ..

ولم تقف بلادنا في هذا المجال موقف المتفرج ، فمنذ بضع سنوات تدور الابحاث في معاملنا حول صناعة البنسلين من سلالات الفطر المستوردة من روسيا .. وقد نجح علماؤنا الشبان وفي مقدمتهم المرحوم الدكتور عز الدين محمد طه رئيس وحدة كيمياء الكائنات الدقيقة بالمركز القومي للبحوث ، والباحث الشاب محيي عبد السميع في دراسة ادق العمليات الكيميائية التي تكتنف نمو فطر البنسليوم وتوفير احسن الظروف لتكاثره .. ولما كانت السكريات والبروتينات اللازمة لتغذيته غير متوفرة لدينا بالقدر الذي يسمح بانتاج البنسلين على نطاق اقتصادي ، فقد فكر علماؤنا في مصدر رخيص لهذه المواد ، وكان اقرب طريق الى القصد هو استخدام النواتج المتخلفة عن بعض الصناعات القائمة لدينا بالفعل .. وتقوم في بلادنا منذ وقت طويل صناعتان ناجحتان هما صناعة السكر من القصب الذي يعتبر ما نزرعه في صعيدنا من اجود انواعه في العالم ، وصناعة النشا من الذرة .. فمن صناعة السكر يتخلف محلول سكري مخفف هو «المولاس» الذي يحتوي الى جانب السكر على نسبة من الاملاح ، واما صناعة النشا فيتخلف عنها سائل يحتوي على عدد من الفيتامينات والمركبات الازوتية الناتجة عن تحلل محتويات بذور الذرة عند نقعها في الماء .. ومن هذين المصدرين تتوفر عناصر غذائية كاملة لنمو الفطر ، لا تكاد تكلفنا نفقة تذكر ، فقد كانت هذه السوائل تعتبر عادما لا يستفاد منه في شيء ، بل ربما كان تصريفها هو الذي يكلفنا بعض الجهد ..

وقد عهدت شركة النصر للصناعات الدوائية الى وحدة ابحاث الكائنات الدقيقة بدراسة جوانب العملية المختلفة ، وبتدريب الاخصائيين اللازمين على طرق التحليل الكيميائي والميكروبيولوجي التي يلزم اتقانها للنجاح في هذه الصناعة الدقيقة ..

وبعد ان نجحت التجارب المعملية ، خرجت عملية انتاج البنسلين في بلادنا من انبوبة الاختبار ، وتم انجازها على نطاق نصف صناعي فنجحت كذلك ..

واليوم ، وقد نجح التعاون بين هاتين الهيئتين العلميتين في بلادنا ، فنحن نبارك ميلاد هذه الصناعة المصرية الجديدة ، وننتظر في اسواقنا البنسلين المصري الذي صنعته الايدي المصرية ، تحركها العقول المصرية !!

د. عفيفي محمود

أخبار

- عين الاستاذ : احمد حسن الزيات عضوا في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – في المكان الذي خلا بوفاة الاستاذ عباس محمود العقاد .
- الجنس ومفهوم الواقعية في القصة المصرية كتاب جديد يصدر في الشهر القادم .. لمؤلفه السكندري : فتحي الابياري . هذا هو الكتاب الرابع للكاتب .
- سيتحدث الدكتور محمد هداره عن «نجيب محفوظ» والدكتورة نفوسة زكريا الاستاذة بجامعة الاسكندرية ستتحدث عن «المازني» وذلك في مهرجان القصة الذي سيقام يوم ١٥ فبراير بالاسكندرية بمقر نادي القصة .
- تقيم اسرة اللغة العربية بكلية آداب جامعة الاسكندرية ندوة موضوعها : « البناء الفني للدراما » وذلك في يوم الاربعاء ١٠ فبراير ١٩٦٥ .
- تقيم الجمعية الادبية المصرية يوم الثلاثاء ٢٦ من يناير ندوة لمناقشة كتاب (ابن المعتز) للدكتور احمد كمال زكي . ويقدم الندوة الاستاذ عبد الرحمن فهمي . ويشترك في المناقشة:
د . شوقي ضيف – د . يوسف خليف الاستاذ صلاح عبدالصبور – الاستاذ فاروق خورشيد .

الكتب نقد وتعريف

علم السياسة فى القانون الاسلامى

تأليف : مصطفى فاضل
نقد : عبد الجليل شلبى

للمؤلفات الاسلامية التى تكتب بغير اللغة العربية وتنشر بين غير المسلمين أهميتها الخاصة بالنسبة للكاتب المسلم ـ وهى لهذه الاهمية تتجه بمؤلفيها ٠ أو هم يتجهون بها وجهة تغاير وجهتهم لو أنهم ألفوها باللغة العربية ونشروها بين المسلمين ٠

فالغربيون اما أن يجهلوا الاسلام وقوانينه أصلا أو يعرفونها مشوهة مبتورة مما كتبه المستشرقون ، والمستشرقون لايكتفون بغمز الاسلام وتشويهه ٠٠ ولكن يسوءهم أن يصوره كاتب مافى صورته الحقيقيه أو يثنى عليه ثناء جميلا ، ونحن نعلم مدى الامتعاض الذى ينال هذه الطائفة مما يكتبه كاتب يميل الى الانصاف من أمثال توين بى أوجب ـ وحين أخرج جب كتابه « المحمدية » غضب له الكثيرون حتى أخرج جيوم كتابه «الاسلام» ليكون ردا عليه ، وفى هذا الكتاب الاخير أكاذيب بلقاء لا أدرى كيف احتملها كاتبها (١) ٠

والكاتب المسلم الذى ينشر مؤلفا بين هؤلاء يحتاج الى مراعاة هذه الاعتبارات وهى تدعوه الى الاكثار من ذكر الادلة وحسن التأتى لعرضها وكيفية الاقناع بها لأنها ستتعرض للكثير من النقد والمعارضة ، كما يتهم هو بمحاباة دينه وحب الثناء عليه ٠

والمؤلف الذى أريد أن أتحدث عنه الآن هو مجموعة من المحاضرات القاها مؤلفها على طلابه فى جامعة « يوتاه » احدى الولايات المتحدة ٠ وهو القاضى **مصطفى فاضل** الذى شاء له تواضعه الا يذكر شيئا من ألقابه العلمية ولكن لغته وعلمه ودقة بحثه تغنيه كلها عن الالقاب ٠

وقد استضافته هذه الجامعة صيف ١٩٦٤ لالقاء هذه المحاضرات ٠

وقبل أن أتحدث عن هذه المحاضرات أذكر أنها شوقتنى الى مراجعة مؤلفين كبيرين وددت لو أنى أستطيع مراجعتهما فقد كان كل منهما يتمثل لى طوال صحبتى لهذه المحاضرات ٠

أول هذين الكتابين هو كتاب « روح الاسلام » للمرحوم أمير على ٠ وعلى الأخص الجزء الثانى منه٠ وثانيهما محاضرات جولد زيهر التى كان أعدها ليلقيها بأمريكا أيضا ، ولم يتيسر له ذلك وترجمت للعربية باسم « العقيدة والشريعة فى الاسلام » ٠

فكتاب أمير على دفاع عن الاسلام يهمه أن يجلو مزاياه ويبرز حكمته ويكشف عن أسراره وفائدة العمل بقوانينه ٠ وكلمة « روح » فيه تأتى بمعنى سر أو حكمة والقاضى « الفاضل » كان ينهج مثل هذا النهج فى محاضراته ٠

أما كتاب زيهر فعلى شاكلة كتبه الاخرى يترفق فى غمز الاسلام ويحسن التأتى لجرحه فيوهم قارئه انه غير متعصب ولا متحامل ولكن ثوب الرياء يشف عما تحته ويفضح ما وراءه ٠

وقد صاحب مؤلفنا طوال محاضراته مستشرقا آخر يسلك هذه السبيل ـ هو الدكتور «اندرسون »

(١) يفترى جيوم على محمد (ص) افتراءات لا تتفق وشأنه ولا توجد فى أى كتاب سيرة ويدعى أن لديه بقايا من سيرة ابن اسحق وسيرة ابن اسحق لا توجد ، حتى ان المرحوم احمد زكى حينما اعلن فى مؤتمر المستشرقين بأثينا سنة ١٩١٢ عن كشفه كتاب الاصنام قال مداعبا : ان المستشرق نولدكه كان علق حياته على رؤية هذا الكتاب ،وهو لهذا لا يظهره حتى يعلق المستشرق حياته على كتاب آخر فقال المستشرق هيس ان نولدكه علق شرطه على كتاب اندر من الكبريت الاحمر مثل «سيرة ابن اسحق» ، او «كتاب الاكليل» للهمدانى ٠

الاستاذ بجامعة لندن ـ والدرسون ـ فيما أعلم ـ له كتابان اسلاميان • أحدهما « القانون الاسلامي في العالم الحديث » والثاني هو «الاسلام في افريقية» والكتاب الاول هو الذي عني به المؤلف فجعله محورا لاهم أبحاثه وجعل الرد عليه بحثا أساسيا في أهم موضوعاته • ومع هـذا يصفه بانه من المعتدلين او غير المتحاملين (ص٥٧) •

أدب جميل من القاضي « الفاضل » ولكن اذا كان هذا اعتدالا وعدم تحامل فيما يرى فهناك ولا ريب تحامل لا يحتمل •

والامر كذلك •

أشار المؤلف في صدر حديثه الى عدد ممن يقومون بدرس القانون الاسلامي في الجامعات الاوربية والامريكية وليس فيهم دارس مسلم واحد • وفيهم استاذ شرقي مصري هو الدكتور سابا حبشي ـ واشار الى كلمة منصفة له هي ان السبب في استمرار ما يهتم به الدارسون من القانون الاسلامي انه دين لنحو أربعمائة مليون مسلم وانه لايزال يكون جانبا هاما من القانون الدولي المعمول به الآن •

والدكتور **سابا حبشي** يشتهر بدرسه أحمد ابن حنبل ومذهبه الفقهي وهو اليوم أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة كولومبيا بنيويورك •

وسيطول بي الحديث لو ذهبت أفصل القول في الموضوعات الكثيرة التي تناولها هـذا المؤلف ولكن يمكن أن أقسمها الى ثلاثة أقسام رئيسية :

تمهيدات عامة ، وجزء من تاريخ التشريع ، وأبواب من الفقه الاسلامي • وهذا القدر كاف جدا بالنسبة للفترة المحدودة التي ألقيت فيها هـذه المحاضرات والمؤلف ولا شك كان يتمثل الاعتبارات التي قدمتها فهي التي أملت عليه الاطالة في تمهيده وهي التي جعلته يختار من الفقه موضوعات بعينها وهي التي جعلته يقف طوال محاضراته موقفا دفاعيا وقد صرح أول حديثه انه لسوء الحظ أن وكل اليه درس هذا القانون لجماعة لم يحسنوا فهمه فأساءوا تصويره أمام الدارسين •

واذن فالذي يهمنا ازاء هذا الكتاب لامجرد عرض معلوماته ولا دقة هذه المعلومات فقط ، وانما يعنينا بجانب ذلك او قبله مدى توفيقه فيما قصد اليه من حسن الدفاع عن الاسلام وتصوير مزاياه •

استعرضت المقدمات حال العرب قبل الاسلام وأهم نظمهم القبلية والبدوية وصورت حياتهم ومكانة قريش عصر البعثة ـ وكان الغرض من ذلك هو بيان مدى الاصلاح الذي جاء به الاسلام على هؤلاء الغافلين ومدى ما نالهم بسببه من تقدم حضاري واجتماعي •

هذه الفكرة أشار اليها اشارة عابرة ولم يقف امامهاطويلا ـ وليته فعل ـ لكنه كان معجلا للحديث عن موضوعات أخرى يراها أهم •

تحدث عن القانون القرآني في الميدان الدولي العام وفي ميادين التجارة والاقتصاد والسياسة العامة •• وفيها جميعا أحسن التصوير وأحسن الدفاع وأحسن الموازنة •

في الميدان الدولي العام وصف الاسلام بانه دين تسامح ومسالمة لا يحب اثارة الحروب ولا يقدم عليها الا للدفاع عن العقيدة او نشرها بين الوثنيين ، كما تحدث عن معاملة الذميين والكتابيين وأنه لا يكره المسيحي ولا اليهودي على الاسلام ولا يعامل الكتابيين معاملة واحدة لانهم ليسوا سواء في دينهم أو موقفهم من المسلمين ••• الخ •

ولم يشأ أن يعقد موازنات بين القانون الاسلامي والقانون الدولي العام أو يفاضل بينهما ، ربما لان في هذه الموازنة احراجا للامريكيين ـ ولكنه ما فتىء يؤكد أن هذا القانون القرآني يصلح أن يكون قانونا دوليا يعمل به وأنه يحقق الاهداف التي يدعو اليها الساسة المصلحون لاقرار السلم وحقن الدماء •

وفي ميادين التجارة والاقتصاد بين أن الاسلام أحل البيع وحرم الربا وبعد حديثه عن كل منهما عاد يتساءل عن أعمال البنوك وفوائد ما يودع بها أهي من الربا الذي يحرمه القرآن أم هي مباحة لانها ليس بها استغلال ولا اجحاف بالفقراء ، وبين أن فقهاء المسلمين يختلفون في هذا •• فريق يجيز وفريق لا يجيز ولم يقطع هو برأى •

ودعاه الحديث عن سياسة المال أن يتحدث عن الشيوعية الماركسية فلم يقف أمامها طويلا وانما تحدث عن التعاون في الاسلام وعن الزكاة وأثرها

وانها ضريبة ترتبط بالدين ، وكرر في غير موضعان المجتمع الاسلامي لا يقوم على المادة وحدها ولكن يعنى دائما بالضمير والمبادىء الاخلاقية . حتى ان العمل قد يقره النظر القانوني ولكن لا ترضاه الاخلاق .

اعجبني أن تنال هذه الفكرة حظها من العناية وأن تتراى خلال هذه الابحاث بين حين وآخر .

أما الحديث عن تاريخ التشريع فلم يأت منظما ولا متتابعا - والذي جعل المؤلف يتموج به هذا التموج هو عنايته بالرد على الدرسون في اتهامه قانون القرآن بالجمود - فهو من ناحية غفل عن مصادر التشريع الاخرى من السنة والاجماع والقياس وفتح باب الاجتهاد للبحث عن مصالح الناس ، ومن ناحية أخرى نسي أن النبي أقر معاذا على اجتهاده وانه منذ عهد الخلفاء حدثت تطورات متعددة أوقفت القانون الاسلامي وشرحت نظريات القرآن . الحق أن هذه الفكرة نالت من المؤلف اهتماما كبيرا وقد وضحها توضيحا حسنا .

واهتم من بين أبواب الفقه بالوقف وقانون الاحوال الشخصية والمواريث وبذل عناية كبيرة في بيان منزلة المرأة ومكانتها في القانون الاسلامي مهتما بدفع ما يتهم به من انه هضم مكانتها أو او نقصها عن الرجل .

ولست بحاجة بعد هذا كله الى سرد بقية ما حوت المحاضرات أو تحليل شيء منها فلا يتسع مثل هذا الحديث لتوفية الكتاب حقه . ولكن بالكتاب هنات أود أن أشير اليها .

اما من الناحية الشكلية فهذه المعلومات بحاجة الى تبويب ووضع عناوين جزئية تمكن من الافادة منها .

كذلك غلب عليها الاستطراد والانتقال المفاجىء الى بحث آخر حتى ان الفكرة الواحدة قد تعرض أكثر من مرة أو يعرض جزء منها ثم يأتي جزؤها الآخر في مكان آخر . فاذا أردنا مثلا أن نستخلص مكانة المرأة ، أو فائدة الزكاة ، كان لا بد من قراءة المحاضرات كلها أو معظمها .

ولا يشفع لهذا أنها محاضرات لم تؤلف لتكون كتابا بل يزيد النقد حدة أنها عمل فاض من طبيعته النظام والدقة والترتيب .

واهم من هذا أن هناك آيات من القرآن الكريم لم تحسن ترجمتها .

ولا أكاد أشك في أن المؤلف نقلها من بعض المصاحف المترجمة - ولو أنه فهمها وترجمها بنفسه لكانت صحيحة محكمة ذلك أن لغة المؤلف وأسلوبه وقدرته على شرح أفكاره لا تدل فقط على قوة في اللغة الانجليزية بل تدل على امتياز عظيم - واذا صدق ظني في أنه نقل من الآخرين فعجيب أن ينقل معاني القرآن عمن اساءوا فهم قوانينه وأساءوا تمثلها كما ذكر .

وعلى سبيل المثال أذكر هذه الآيات :

ص ٩ : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل » قيد الحبة بأنها حبة القمح .

ولا داعي لهذا التقييد .

والآية : ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه : فسر تغمضوا بمعنى تقفلوا عينا وهو تفسير حرفي لا يؤدي المعنى المراد - اذ المقصود أنكم لاتقبلونه لانفسكم الا اذا تغاضيتم عن عيوبه أو خبثه .

ص ٧ - وما ملكت أيمانكم : فسرها أنها ماتملكه يدكم اليمنى - وكان الاقرب أن يقول ارقاؤكم .

ص ٨ - أمة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل ،

فسر الآيات بأنها العلامات والمراد هنا أجزاء القرآن وفسر اناء بساعات وكان الاولى كل أوقات الليل .

ص ٦ - ويخافون يوما كان شره مستطيرا :
فسر المستطير بانه على جناح .

والحق أن هذه الآيات قليلة جدا بجانب الآيات الكثيرة التي استشهد بها وترجمت ترجمة سليمة .

واني أود أن تقوم احدى الهيئات الاسلامية بطبع هذه المحاضرات - بعد مراجعتها - في لغتها الانجليزية وتوزيعها على الجامعات ودور العلم المتكلمة الانجليزية دون مقابل . رغبة في تصحيح الافكار الخاطئة عن الاسلام وعملا على انصافه من دعايات المستشرقين .

عبد الجليل شلبي

كتب جديدة

يقدمها : تحسين عبد الحي

القصص القرآني
فى منطوقه ومفهومه

تاليف : عبد الكريم الخطيب

تعتبر القصة فى القرآن ركيزة قوية من ركائز الدعوة الاسلامية القائمة على الاقناع العقلي والاطمئنان القلبي، بما تدعو اليه من الايمان بالله ، ورسله، وكتبه واليوم الآخر ، وبما تحمل من مثل فى مجال الجهاد والكفاح والبذل والتضحية والفداء فى سبيل الدعوة الى الحق ، والتوجيه الى الخير والهدى، والتنكر للباطل والضلال ، والصمود فى وجه الظلم والطغيان ٠

ولكن كيف نلتقى بالقصة القرآنية؟ ومن اى جانب ننظر اليها ؟ وباى مقاييس نقيسها ٠ ٠ويجيب الكتاب بأبوابه وفصوله المختلفة على هذه الاسئله ١٠ اذ يقدم لنا دراسة مفصلة عن القصة ومفهومها فى القرآن ، وعناصر القصة فى القرآن ، والقوى الغيبية فى القصص القرآنى، والصراع فى القصص القرآنى الى غير ذلك من الابحاث الهامة التى تنتظمها أبواب الكتاب وفصوله ويقع فى ٤٢٦ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار الفكر العربى ٠

الاسلام والطب

تاليف : محمد عبد الحميد البوشى

تقول الدكتورة « شوارتزهبت » وزيرة صحة جمهورية المانيا الاتحادية ٠٠ « ان الغرب لن ينسى أبدا أنه مدين للعرب بدراسة الطب ، وأن مؤلفات ابن سينا،والعباس والرازى كانت هى الكتب الوحيدة التى تدرس فى جامعة « بالرمو » التى كانت تضم أشهر مدرسة للطب فى العالم الغربى ٠ والكتاب يتحدث عن الطب ونظرة الاسلام اليه وذلك من واقع الآيات القرآنية الكريمة ٠٠ والأحاديث الشريفة ٠ وقد قدم المؤلف لموضوعه بدراسة لتاريخ الطب عند الأمم القديمة ٠ مثل الطب عند قدماء المصريين ، وعند البابليين والكلدانيين والآشوريين ٠ وكذلك الطب عند الهنود والصينيين والفرس والرومان ٠٠

ويقع الكتاب فى ١٦٢ صفحة من القطع الصغير ونشرته دار القلم ضمن سلسلة كتب٠المكتبةالثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى ٠

داج همرشلد

تاليف : جوزيف ٠ ب ٠ لاش

ترجمة : مصطفى حنفى

مراجعة : محمود فتحى عمر

عرف همرشلد بالاتزان والمرونة بين الدبلوماسيين المحترفين خلال تناول أعقد المسائل ، هذا الى سعة حيله فى وضع الحلول ، فهو ـ على حد قول هيو جيتسكيل ـ قوة ذهنية خارقة ، وقوة جسدية تتماشى معها٠واختلفت الآراء حول شخصية همرشلد٠ فهو الذى أثار الانجليز والفرنسيين عليه فى أزمة السويس وأثار دول افريقية وروسيا عليه فى أزمة الكونغو ٠

ويتناول الكتاب حياة هذا الرجل منذ أن عين سكرتيرا عاما للامم المتحدة الى أن مات فى حادث الطائرة فى احراش الكونغو ٠ ويقدم لنا الكتاب الجانب الآخر من حياة همرشلد الانسان ، الذى يهوى الادب والشعر والفن والتصوير والموسيقى ٠

ويقع فى ٢٣٩ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ضمن سلسلة مذاهب وشخصيات ٠

الرعاية الاجتماعية والمواطن

ترجمة : عزيز مترى عبد النبى

مراجعة : الدكتور بدراوى فهمى

يحتوى الكتاب على مجموعة مقالات فى موضوع الرعاية الصحية والاجتماعية لكل من جين جراهام هول ، وبيجى جاى ، وجون باين ، وفرانسس بيتر٠ وغيرهم من الكتاب ويقول « بيترآرثر » فى مقدمته « ان نجاح هذا الكتاب وأمثاله فى تحقيق أهدافه يقاس بالسرعة التى تصبح فيها هذه المبادىء قديمة متخلفة ، اذ أنه مهما بلغ نجاح مبادىء الرعاية الاجتماعية المعاصرة فان حاجات البشر دائمة التطور، ويجب أن تتطور معها آراؤنا عما يمكن أن تؤديه

الجماعة للفرد من خدمات . ولسوف ينظر الناس بعد مائة عام الى الثورة الاجتماعية التى تحققت فى منتصف القرن العشرين نظرتنا الآن الى الاصلاحات التى تمت سنة ١٨٣٠ .

ويقع الكتاب فى ٣٤٨ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار الفكر العربى .

١٩٧٥ والمعجزات العلمية المنتظرة
تاليف : أرنولد ب . باراك
ترجمة : اللواء سعد الدين صبور
تصدير : الدكتور محمد عبد القادر حاتم
تقديم : حسن جلال العروسى

يقول الدكتور محمد عبد القادر حاتم فى تصديره للكتاب :

« وخلاصة القول فى هذا الكتاب أنه يتنبأ بالتطورات التى ستغير الحياة تغييرا جذريا بحيث يبدو بها وجه العالم صورة جديدة رائعة » .

والكتاب يحدثنا عن التاريخ القريب ، مقارنا بالماضى القريب ، وهو فى ذلك لا يقوم على التكهن والتنجيم ، وانما يقوم على محاولة عكس الحاضر والماضى القريب على مرآة المستقبل المجهول . وقد عالج المؤلف فيه موضوعات كثيرة منها : الناس ، والمزارع ، وخطوط التجميع فى المصانع ، والمنازل، والأزرار الكهربائية ، ووفرة الانتاج ، والتعليم الجامعى للكافة ، والمواصلات ، وما سيكون فيها من طائرات تسير بسرعة ثلاثة آلاف ميل فى الساعة او تزيد ، وسيارات نفاثة تسير مرتفعة عن الأرض ، كما تناول بالحديث المخترعات والمعجزات الطبية المنتظرة، وتطور استخدام الذرة ، والسفر الى الكواكب .

ويقع الكتاب فى ٣٢٥ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار النهضة العربية .

نظرية التكامل الاقتصادى
تاليف : بيلا بلسا
ترجمة
محمد عبد العزيز أحمد
عبد الرحمن شبل حسن
محمد الجبالى
مراجعة
دكتور صلاح الدين عبد الوهاب

يتناول الكتاب موضوع التكامل الاقتصادى بالدراسة والتحليل سواء من الجانب الاستاتيكى أو الجانب الديناميكى وقد اوضح المؤلف الصور المختلفة للتكامل ، مثل منطقة التجارة الحرة والاتحاد الجمركى والسوق المشتركة والاتحاد الاقتصادى والاتحاد الكامل . وقد طبق المؤلف عند عرضه لوجهات النظر المختلفة ـ المبادىء النظرية على مشروعات التكامل المعاصرة مثل السوق الأوربية المشتركة ومنطقة التجارة الحرة والمشروعات المقترحة لتكامل امريكا اللاتينية .

ويقع الكتاب فى ٢٦٩ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية .

التعاون من اجل القضاء
على مشاكلنا الاجتماعية
تاليف : جلال زكى

يقدم هذا الكتاب الذى يقع فى ١٥٧ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ـ تعريفا بالتعاون وتاريخ الحركة التعاونية وانتشارها عالميا ثم الدور الاقتصادى والمنهج الاشتراكى لرواد التعاون وينتقل بنا الكتاب من التعاون المتعارف عليه عالميا الى التعاون الاجتماعى . ويبين كيف أن هذا الشكل الأخير من التعاون هو مذهبنا لحل مشاكلنا الاجتماعيه فى تطور مجتمعنا الحديث ذلك التطور الذى يسبق الزمن ، ولا بد لجميع أجهزة المجتمع وجميع وحداته من التطور فى اتزان . فالانسجام التام بين المجتمع وبين وحداته لن يأتى الا باتحاد جميع وحدات المجتمع ، اتحادا هادفا يرمى الى خلق حياة أفضل .

مهرجان الذكرى الاولى لوفاة
احمد لطفى السيد
استاذ الجيل

يحتوى الكتاب على مجموعة الخطب والكلمات والقصائد التى القيت فى مدينة المنصورة لمناسبة الذكرى الأولى لوفاة أستاذ الجيل ـ « احمد لطفى السيد » التى اشترك فيها صفوة ممتازة من العلماء والمفكرين امثال الدكتور طه حسين والدكتور محمد عوض محمد والأستاذ احمد حسن الزيات والدكتور عثمان امين والدكتور السعيد مصطفى السعيد والدكتور احمد فؤاد الأهوانى .

وقد جمعت محافظة الدقهلية اقوال وخطب هؤلاء الأعلام وغيرهم ممن اشتركوا فى المهرجان فى هذا الكتاب .

ولا شك أن اخراج الكتاب فى هذه الصورة يعد تعبيرا وعرفانا من محافظة الدقهلية لابنها أستاذ الجيل احمد لطفى السيد كرائد من رواد النهضة الفكرية والثقافية .

تحسين عبد الحى

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العواني



مؤرخ القومية العربية :

وهب حياته للقومية العربية وراح يبشر بهـا ويكتب عنها ويدعو لها .. انه الاستاذ ساطع الحصري الذى طاف فى أنحاء كثيرة من بلادنا العربية مناقشا ومحاضرا ، وقد استطاع بما أوتى من الايمان بهـذه القومية أن يتصدى لمن يرد عليه ويقيم الحجة والبرهان ولقد تجلى هذا الايمان فى مرحلة مبكرة .. فهو وان كان يبلغ من العمر الآن حوالى الخامسة والثمانين لكنه يمثل بالنسبة لنا قطعة حية من ماضينا وحاضرنا وآمال مستقبلنا .

ان الاستاذ ساطع الحصرى بين فى حديث أدلى به الى مجلة المصور فى عددها السنوى كيف باشر دعوته للقومية العربية قائلا انه عندما تولى وزارة معارف العراق عقب تولى الملك فيصل العرش عمد الى تخطيط منهج جديد للتعليم يعتمد على تدريس القومية العربية والوحدة العربية ليغرس مفهوم القومية والوحدة عند ابناء الجيل الجديد ، وقد أنشأ لهذا الغرض « مجلة التربية والتعليم » لتكون منبرا للدعـوة للقـومية العربية ، كما قام بسلسلة طويلة من المحـاضرات فى هذا الميدان ، ويقول الاســتاذ الحصرى انه كان يصاب بألم شديد من معارضة هذه الدعوة من بعض المثقفين خصوصا المثقفين المصريين ، ولكنه كان يتابع هذه الافكار ويرد عليها بشكل دائم .

ويحكى الاستاذ ساطع أنه التقى فى بغـداد بصديقه «الاستاذ أحمد حسن الزيات» الذى اشتغل بالتدريس فيها فترة ، ثم عاد الى القاهرة ليؤسس مجلة « الرسالة » ويقول الاستاذ الحصرى انه اتخذها منبرا للرد على بعض دعاة مصر الفرعونية » .

ويبين الاستاذ أن أول مثقف مصرى اشتبك معه فى معـركة كان هـو سلامه موسى وذلك على اثر مقال نشر له فى مجلة « السياسة الاسبوعية » عام ١٩٤٨ تحت عنوان « التفسير الاقتصادى للتاريخ » حاول فيه أن يفسر ثورة الشعب المصرى عام ١٩١٩ منعزلة عن الثورة العربية التى كانت تعم المنطقـة ، ومقال آخر نشر له فى نفس العام دعا فيه كما يقول الاستاذ الحصرى الى « قطيعـة الماضى والنظـر الى مستقبل جديد غير مرتبط بتـاريخ مصر العربى الذى وصفه بأنه من اسباب تخلف المصريين » .

ويقول الاستاذ الحصرى اننى « رددت عليه بمقال نشر بمجلة « التربية والتعليم » التى كانت تصـدر ببغداد: رددت مقالته الاولى الى الفكر الماركسى المنعزل عن واقعنا العربى ، وفندت مقاله الثانى بأنه لايوجد شعب ينعزل عن تاريخه يمكن له أن يبنى مستقبلا على أسس سليمة » .

ويرجع الاستاذ ساطع الاسباب التى جعلته يشتبك مع هؤلاء الكتاب المصريين الى أنه كان يؤمن بالدور الذى يجب أن تقوم به مصر فى القومية والوحدة ، وانه قد عبر عن هذا فى مقال نشره فى مجلة «البلاد» عام ١٩٣٦ ومما أورده فى هذا المقال قوله :

« ان كل الصفات والمزايا الطبيعية التى زودت بها مصر تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة فى

انهاض القومية العربية ٠٠ انها تقع فى مركز البلاد العربية بين القسمين الاسيوى والافريقى فيها ، كما أنها تكون اكبر كتلة من الكتل التى انقسم اليها العالم العربى ، وحظيت باكبر قدر من الحضارة الحديثة ، وأهم مركز من مراكز الثقافة فى البلاد العربيــة ـ كل ذلك : المركز الجغرافى والثروة ومستوى الثقافة يجعلها الزعيمة الطبيعية للقومية العربية » ٠

● **بين الرسالة و « الاقلام » :**

تحت عنوان « مطالعات فى المجلات » قدمت مجلة « الاقلام » التى تصدر عن وزارة الثقافة والارشاد فى العراق عرضا للعدد التاسع والخمسين من مجلة « الرسالة » ، وتقول « الاقلام » ان الدكتور بدوى طبانة تناول فى هذا العدد من الرسالة الشعر العراقى المعاصر، وان الدكتور احمد كمال زكي عالج (الرفض) الذى يتخذه بعض الشعراء (موقفا) يتجاهل القيم التى تجمع عليها مجتمعاتهم ٠

ويضرب لنا مثلا بشاعر من سورية وآخر من لبنان ٠٠ ثم ينتقل الى شاعر محسوب على العراق ويتساءل (الدكتور زكي) : «ترى ٠٠ نزعم انه يرفضنا نحن العرب لاننا نستحق الرفض ؟ أم لعيوبنا ؟ أم لعناده؟ أم لمنفعته قد هجرتنا ؟ » ، وتعقب الاقلام على هذا بأن الدكتور كمال زكى قد طرح السؤال ، فهل يملك الشاعر الجواب ؟ ثم تنتقل « الاقلام » الى ما كتبه الاستاذ عبده بدوى فى نفس هذا العدد وتقول عنه انه « قد وقف موقفا رائعا من المحاولات اللئيمة التى يساق عن طريقها الشعر العربى الحديث الى اصطناع رموز معينة للتعبير بواسطتها عن قيم لاتمت الى مجتمعنا ومثلنا وديننا بصلة وهو (أى الاستاذ عبده) قد عرى فى بحوثه التى سبقت هذا البحث ، هؤلاء الذين يحملون راية هذه المحاولات وكشف عن زيفهم الخلقى والوطنى بما لايدع مجالا لاكبارهم حتى لو وفقوا الى عرض نماذجهم فى أطر فنية تستحق الاعجاب ٠٠ ولعل (مهيارا الدمشقى) اوضح مثال لهؤلاء الذين هتك الاستاذ بدوى عن اوجههم الحاقدة براقع الادب والفن ٠

● **السليقة فى التجديد اللغوى :**

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ أنيس المقدسى بحثه فى مجلة « العربى » ، وقد دفعه الى الكتابة فى هذا الموضوع مايراه من أن نهضتنا القومية الجديدة تقتضى احياء تراثنا اللغوى القديم ، لما فى احيائه والمحافظة عليه من تدعيم للقومية العربية وتقوية لاواصر القربى بين أبنائها٠ ويرى الباحث أن نمو اللغة يحدث بتاثير عاملين رئيسيين أحدهما خارجي وهو مايتسرب فيها مع الزمن حتى يصبح جزءا منها ، والعامل الثاني داخلي ، وهو مانشأ ولا يزال ينشأ فى داخل اللغة من الفاظ استحدثت لاغراض ومعان جديدة ٠

وبعد أن يتحدث الباحث عن التوليد وأنواعه ويمثل لكل نوع ، يذكر ان القدماء والمحدثين ينظرون الى التوليد نظرة اختلاف « فالقدماء وقفوا بين المولدات وقفة الانكار أو عدم الاستحسان فأبقوها خارج حرم الفصاحة ، ولهذا قل ذكرها فى معاجمهم بل كانوا اذا ذكروها قالوا « انها غير عربية أصيلة فلا يحتج بها » ٠

ولكن اهل العصر الحديث اعتبروا هذه الالفاظ ضرورة لا غنى عنها وأصبحت المعاجم الحديثة تقرها ويستدل الباحث على ذلك بأن المعجم الوسيط الذى صدر عام ١٩٦٠ باشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة فيه مئات منها ٠

ويرى الاستاذ المقدسى أن التجديد فى اللغة لايراد به الخروج عن قواعد اللغة المقررة فى علوم الصرف والنحو والبيان ، فالخروج عنها خطأ لاجدال فيه ، وانما يراد بالتجديد انشاء أو اقتباس صيغ صحيحة لم ينص عليها قبلا ، تملك مالا يملك سواها من اكساب المعنى قوة أو روعة أو حسن بيان ٠

ثم يضيف الى ذلك أن مايوطد هذه الصيغ ويهدينا اليها « سليقة لغوية يؤديها الزمن ، وكثيرا ما تصطدم هذه السليقة بالنصوص التقليدية ، ويحدث تنازع بينهما قد يستمر دهرا طويلا ثم لايلبث هذا التنازع أن ينتهي غالبا بانتصار السليقة » ، ولم يفت الاستاذ المقدسى أن يذكر الكثير من الامثلة لتوضيح مايراه ٠

من ذلك ما أورده من استعمال الطغرائى للفظ التشويش مؤثرا اياه على لفظ التهويش وذلك فى قوله :

وان قدرت على تشويش طرته
فشوشيها ولا تبقى ولا تذرى

وكمثل « المأتم » يذهب الناس الى أنه المصيبة يقولون كنا فى مأتم وليس كذلك ، انما المأتم النساء يجتمعن فى الخير والشر ، والصواب أن يقال كنا فى مناحة ، الى غير ذلك من الامثلة العديدة التى ساقها الاستاذ أنيس فى ثنايا البحث تدل على انها لدارس متمكن من أسرار اللغة ومكنوناتها ٠

« **محمد العوانى** »



نقد قصائد
للدكتور احمد كمال زكى

الشاعر مصطفى ابراهيم عمران يعد بفنان أصيل وهو فى القصائد التى بعث بها يبدو مكتمل الاداة قادرا على الاداء لولا هنات عروضية ولغوية من السهل أن يتخلص منها . وعلى الرغم من أنه يحاول ان يشغل نفسه بالقضية العربية فيكتب مثلا « رسالة الى المغتربين » فان سائر شعره يغلب عليه الالم وبكاء الحبيبة ورصد اليأس . ومثل هذا من غير شك يناسب الطور الرومانسى الذى يمر هو به ، كما يمر غيره من الشباب ، ولكننى أرجو أن يحاول استشراف آفاق أكثر نضرة وأكثر امتلاء بالامل والبشر ، وهاأنذا أسوق بعض أبياته :

حملت الهوى فى شغاف الفؤاد
سنين أناسى ليالى السمر
سأبقى وفيا لذكرى الهوى
لذكرى هوى ليته ما اندثر
سأبقى وحيدا وحبى الوحيد
سيبقى بقلبى الذى قد صبر

* * *

وارسل الشاعر أحمد عنتر مصطفى قصيدتين الاولى بعنوان « لعينيك » ، والثانية بعنوان « رحلة فى زورق » ، والقصيدتان جيدتان وان يكن هو فيهما رومانسيا مغرقا فى خيالات الرومانسيين بل معتمدا أساليبهم وصورهم واكليشيهاتهم التى أصبحت لاتدل على تجربة ذاتية أصيلة . وفيما يلى أقدم عدة أبيات طيبة من قصيدته « لعينيك » ، على أن أنبهه الى أن « الالى » ليست بمعنى « الاولى » ، وانما هى اسم موصول يحتاج الى صلة :

لعينيك كم طوفت فى كل ليلة
لالقاك فى وهم الخيال فأسعد
لعينيك أضنيت الفؤاد لنلتقى
وما كان بين العين والقلب موعد
لعينيك كم ارسلت فى الليل زفرة
تردد أين الحب فى القلب يرقد
لعينيك ما للخمر من رونق الصبا
وكم نادت العينان ..والخمر أبعد

* * *

وللشاعر تاج الملوك زكى قصيدة بعنوان « عام جديد » لا أوافق على مافيها من افكار لانها لاتفسح مجالا للامل .

جاء عام لست أدرى هل سيغدو
باسم الوجه سيمحو الهم عنا
أم سيوصيه الذى ولى فيمسى
كالح السحنة مشئوما معنى

أجل لا أوافق .. لا لشىء الا لأن الحياة وان يكن ماضيها اسود – وللشاعر نظرته – فلابد أن يؤمل خيرا ، لابد ان يبشر بل لابد أن يحبب لدينا الحياة ويقربها الينا .

ان تاج الملوك شاعر من غير شك وهو ينظم باقتدار ولكن تنقصه الفكرة العميقة وهو قادر عليها بالقراءة والاطلاع والدأب فى تحصيل أسباب الثقافة .

بين القفر والفقر
للشاعر ابراهيم محمد نجا

يقول الشاعر :

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما
تموت الافاعى من سموم العقارب

فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد
وخرب حفر الفار سدا لمارب

والنقطة التى نضعها فوق الحرف أو تحته ، هى فى ظاهرها شيء طفيف ضعيف لا حول له ولا طول، ولكنها قد تختزن فى باطنها قوة هائلة تماثل فى عالم الأفكار المجردة ، قوة القنبلة الذرية فى دنيا الحقائق المحسة ٠٠ فلربما وثبت نقطة من حرف الى حرف آخر فى كلمة ، فغيرت معناها قليلا او كثيرا ٠٠ ومن ذلك ما حدث فى قصيدتى : « على البعد » ، فقد ورد فيها البيت الآتى على هذا النحو :

وأنت التى صاغ لى حبها
من « الفقر » ، ما يفتن الأعينا

وقرأ البيت بعض زملائى من المصريين الذين يقيمون فى مدينة كركوك بشمال العراق ، فاختصموا فى تفسير معناه ، ولكننى وضعت حدا لهذا الاختصام حين اخبرتهم بأن الفقر محرفة عن القفر ٠٠

وقد كان من لطف الله أن النقطة التى قفزت من القاف الى الفاء ، كلاعبة السيرك مثلا ، لم تغير من معنى الكلمة الا قليلا ، فان الشقة بين القفر والفقر قريبة جدا ، لأن كلا منهما يمثل الخلو مما هو فى حاجة اليه ، فالاول خلو من النبات ، والآخر خلو من المال ٠٠٠ وأنا لم أضق بكلمة الفقر حين أقحمت نفسها فى هذا البيت من القصيدة ، لانى ٠ وان كنت غنيا عن الناس كل الناس ، فأنا الفقير الى الله ٠٠ والله الغنى وانتم الفقراء ٠

ومهما يكن من شيء فان نقطة « الفقر » لم تفعل مافعلته نقطة اخرى هى نقطة « الصليان » الماكرة ، حين هربت من الياء فاوقعت الدكتور لويس عوض فيما وقع فيه ٠ وقد كنت والله أحسبه على بصر بأدبنا ولغتنا يماثل أو يقارب بصره بأدب الانجليز ولغتهم ، ولكنه بآرائه المضحكة فى الشعر والادب ٠ قد أخلف الظن ، وأضاع الحسبان ٠

على انه يقال ان نقطة الصليان لم تهرب من تلقاء نفسها ٠ وانما هربها الدكتور المذكور عامدا متعمدا لحاجة فى نفس يعقوب (ويعقوب اسمه ايضا ٠٠ ٠٠ اسرائيل !) ٠ ومن ثم يكون ــ أى الدكتور ــ متهما ــ ولا مؤاخذة ــ بالتهريب ٠٠ مع العمد وسبق الاصرار ٠

ومع ذلك كله فاننى أشكر نقطة « الصليان » هذه لانها حين اختبات اظهرت خبيئا كان كامنا ، ثم امتعتنا بمقال ناضج فى هذا الموضوع للصديق الاستاذ عبده بدوى ، كما أسعدتنا بعودة كاتبنا الكبير الاستاذ محمود محمد شاكر الى الرسالة العزيزة بعد غيبة طويلة ٠٠ ورب ضارة نافعة ٠

وكما تفعل النقطة ، يفعل الحرف حين تستبدل به غيره فى الكلمة ، فيقلب معناها من النقيض الى النقيض ، وقد فعل ذلك صاحبنا أبو نواس صاحب الشعر البهيج فى الديوان ، والشارع البهيج فى بغداد ٠٠ على شاطيء دجلة ٠

والقصة باختصار ، فيما يروى الرواة ، أن أبا نواس ادركه الغيظ والغم حين أهدى الرشيد الى جاريته الاثيرة « خالصة » عقدا ثمينا ، بينما لم يأخذ هو على شعره شيئا ذا بال ، فكتب هذا البيت على باب من أبواب قصر الخليفة :

لقد ضاع شعرى على بابكم
كما ضاع عقد على خالصة

قالوا وقرأت خالصة البيت الذى كتب على باب البيت ، فكأنما أصابها المس ، وأسرعت الى الخليفة تخبره وهى تبكى بما صنع أبو نواس ٠٠ ولكن الخبيث ــ أبا نواس ــ حين علم بما فعلت خالصة لم يفعل شيئا الا أن استبدل الهمزة فى « ضاع » بالعين ٠ فأصبح البيت هكذا :

لقد ضاء شعرى على بابكم
كما ضاء عقد على خالصة

وجاء الخليفة ومعه خالصة والحاشية ، فقرأ البيت مدحا أعظم المدح ، بعد أن كان ذما أبلغ الذم ٠٠ ومع أن الخليفة فهم « القولة » ، فقد أعجب بذكاء أبى نواس وحسن تصرفه ، وأمر له بجائزة ، وكذلك فعلت خالصة وهى تضحك وتتيه ٠

والقصة قد تكون متحولة اى « مفبركة » كما « يفبرك » الدكتور لويس عوض فيما ينقل من أشعار وأخبار ٠٠ ولكنها ــ القصة طبعا ــ تنفع للدلالة على مانريد ٠

وبعد ، فهكذا صنعت نقطة « القفر » حين تركت موضعها الى موضع آخر ٠٠ غيرت معنى الكلمة ، وجعلتنى أكتب هذه الكلمات ٠ فمعذرة للقراء ٠٠ والى اللقاء ٠



من ٢٣ الى ٢٩ يناير ١٩٦٥

الاسماعيلية مبنى المحافظة

كل يغنى على «ليلى»

قصة بقلم : محمد عبد الحليم عبد الله

كان أسعد يوم فى حياته هو ذلك اليوم الذى نال فيه شهادة التوجيهية من اول دور وسمع فيه زغرودة أطلقتها امه على السلالم فتجمع النساء حولها والاطفال والرجال اخيرا ليشربوا شربات الورد ابتهاجا بنجاح (**سعد**) .

وفى مساء اليوم التالى فترت الفرحة واعقبها الخمول النفسى الذى نحسه عقب كل توتر والذى نرى شبيها له حتى على أماكن الافراح بعد ان تنزل عنها معالم الزينة .

كان المسئولون فى البيت ... يتحدثون عن المستقبل ...

كان ابوه (ترزيا) بعين واحدة والام تخدم فى البيت خمسة من الاطفال غير ... الزوج . الذى كان يعود آخر اليوم بمطالب شخصية وهموم جماعية على الزوجة ان تشاركه فيها . لذلك لم يكن اجتماع الاسرة عقب نجاح (سعد) الا ترجمة للحلم بالراحة الذى يراود خيال الام فى البيت والأب فى الدكان .

ولما صدر القرار باتفاق الزوجين على وجوب توظيف (سعد) كانت الفرحة التى شملته اقوى من ان توصف ولو أن نورها سطع من عينيه الضيقتين الذاهلتين وارتسم على شفته الغليظة القاسية .

واشفق عليهم الزمن . فلم يطل لغه ولا بحثه عن الوظيفة فعين كاتبا فى احدى الادارات باحدى الوزارات .

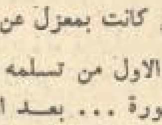
وعلى السلم مرة اخرى انطلقت زغرودة اجتمع لها النساء والاطفال ودارت بعدها اكواب شربات الورد وبقيت دعوة أخيرة كانت ختام التهنئة على فم كل امرأة دخلت على ام سعد . هى : « عقبال العروسة » .

وكانت الأم تغمغم فى الرد عليها وتحاول ان تقف بينها وبين الله لأن ظروف ابنها لا تسمح بقبول هذه الدعوة .. انهم فى حاجة ماسة الى وجوده معهم ...

ابوه ذو العين الواحدة يعود آخر النهار وهو يلعن الابرة والمقص ، وامه .. عندما يأتى منتصف الليل ... تكون قد فرغت من لعن جميع ادوات المنزل ...

لكن فرحة الابن كانت بمعزل عن كل هذه البلايا .

ومنذ الاسبوع الاول من تسلمه الوظيفة خالطت فرحته احلام مخمورة ... بعد ان التقت عيناه بعينى (**ليلى**) الكاتبة على الماكينة فى نفس الادارة ذات القوام الرشيق والوجه الاسمر والعيون الملونة .



كان لا يكف عن مراقبتها حتى وهو يعمل ويقضى فترات ما قبل النوم كل ليلة فى احصاء الكلمات العادية التى تبادلاها وفى تصور حلاوة الكلمة غير العادية التى يأمل أن يسمعها من فمها . ان قلبه يخفق باستمرار ويدق مثل حامل حروف الكتابة التى تدقه باصابعها طول اليوم وقد يرقص قلبه عندما يدخل النسيم من النافذة الشمالية فيفسد نظام شعرها فتمد يدها نحو جبينها لتسويه فتكف الماكينة عن الدق ...

وجلس مستغرقا فى العمل وكل شىء فى المكتب

هادىء ... الا ليلى والماكينة . وكان الوقت صيفا وزميلاه فى اجازة . وكان هذا هو اليوم الثانى لانفرادهما معا فى الحجرة ... وقد ظل طول الليلة الماضية يتحايل على النوم بلا جدوى . كان يفكر فيما يمكن ان يقول لها . كان يشعر بان كل شىء يتعلق به امانة عنده يحتفظ به من اجلها هى ... من اجل ليلى ... الليل والنهار والشباب وشهادة الثقافة والنقود .. والقلب اولا واخيرا .. كل هذه الاشياء امانة عليه ان يحتفظ بها من اجل **(ليلى)** .

واخذت الماكينة تدق .. وعندما كانت ترفع عينيها لتنظر فى احدى الكلمات فى أعلى الصفحة كانت عيونهم تلتقى فى خطف ويتردد الكلام على شفتيه .. ويسابق نبضه نبض الماكينة ولا يذكر شيئا مما يدور فى البيت أو الدكان كأنما الله قد استجاب دعوات الجارات بعد ان وضعن اكواب الشراب الفارغة ...

ودخل فجأة أحد السعاة واستدعى ليلى للقاء الرئيس فى الحجرة البعيدة .. وفجأة ايضا شعر سعد براحة غريبة تهبط عليه اشبه بالهدوء الغامض العميق بين نوبتين من نوبات الم حاد ..

كان يريد أن يتخذ قرارا اخيرا . يريد ان يقول لليلى : انى احبك او انى اريد ان اتزوجك او على الاقل اراك فى الخارج ...

لكن .. اى هذه الكلمات انسب ؟ انه يخاف شفتها السفلى .. ان تعبير الاشمئزاز او الاعراض حين ينطبع على هذه الشفة يكون شيئا قاتلا .

ونظر فى زجاج الباب والحجرة خالية عليه. فراى هندام نفسه وجبينه .. ــ جبينه المشرف باسراف على العينين كانه ظلة تحميها من الشمس . عيناه الضيقتان المائجتان بالمخاوف والرغبات تحت هذه المظلة .. هل تستطيعان أن تبارزا عينى ليلى اللذين تكسران السيف ؟!

وعاد الى مكانه وتنهد . وكف عن التفكير لحظة لانه سمع وقع خطواتها . ثم جلست الى الماكينة بسرعة واخذت تدق حروفها بعصبية وتعبير الاشمئزاز على شفتها طول هذه المدة . فعدل عما كان مشغولا به واجل كل شىء الى غد ..

لكنه سمع بكاءها فجاة. ووقفت الماكينة وارتفع البكاء ...

وبطريقة هستيرية كان صمام الأمان قد انفتح. ومال اليها بلا وعى وأخذ يسترضيها كأنما هو الذى تسبب فى كل شىء . واخيرا أفاق على موقف غريب.. على عينى ليلى وهى تنظر اليه بدموعها، لكن الوجه كان مبتسما كله . وعلى ثناياها بريق عذب يرد الوعى للمغمى عليه . وقد امسكت كتفه بيدها اليسرى ومدت يدها اليمنى نحوه بالمنديل الصغير الذى مسحت به دموعها وهى تقول له :

ــ معلش .. طيب بس .. معلش ...

كان سعد قد انخرط فى البكاء . خانته دموعه اولا فلما شعر انها احست به اسرف فى تقديم القربان ورجته ليلى بصوت هامس ان ينهى الموقف حتى لا يدخل احد فيراهم .

ثم ظلت البسمات طول اليوم بعد ذلك تعبيرا خاشعا حنونا بين الاثنين. تقطع المسافة بين المكتبين مثل برقيات بلا كلمات ..

كان ابوه يأكل وهو مائل العنق فى هذه الليلة يكاد رأسه يرقد على كتفه اليسرى .. من التعب .. والام تقشر لابنها خيارة دليلا على امتيازه فى الأسرة واعترافا بمعونته المالية لهم والاطفال فى مكان آخر من الشقة الصغيرة يضحكون على نكبتهم بملة السرير التى تسقط بهم كلما تحركوا عليها ..

وبمقدار الضجيج الذى كان متسلطا على الحجرة الداخلية كان هناك سكون ووجوم على الاربعة الذين يأكلون .. وشعر الاب المتعب كان امرا يضايق ابنه فاغتصب الكلمات وسأل :

ــ شىء فى الشغل يضايقك يا سعد ؟

فرد الابن باختصار بارد !

ــ لا ..

وقدمت اليه الام خيارة مقشورة سويت باعتناء:

ــ خد يا حبيبى ..

فاخذها وهو يذكر ليلى وعيناه مسبلتان حتى لا تفسد المرئيات امامه صورة من تخيلها يوم نطقت

بكلمة جميلة فاذهلته . واخذ يمضغ بسرعة وصمت فعاد الاب يسأل في قلق وغيظ :

ـ شيء في الشغل يضايقك يا ولد ؟

فرد باحتجاج :

ـ يا ولد ؟

ـ كبرت ؟

ـ نعم .. و.. و... سأتزوج خلاص .

وجرحت السكين اصبع الأم وهي تقشر له الخيارة الثانية واعاد الاب رأسه الى وضعه الطبيعي بعد ان كان مائلا نحو كتفه وقال له :

ـ تتزوج ؟

ـ نعم .. مثلك

فقام الاب في صمت ودخل الى غرفة الاولاد الذين كانوا يصخبون وانهال عليهم ضربا . ولم تمض دقائق حتى كان السكون قد اطبق على الشقة الصغيرة واطفىء النور وان كان هناك عيون لم تنم ...

ومشى كل شيء بعد ذلك هادئا رتيبا ...

كان والد سعد في الدكان مكبا على عمله في استبسال آملا ان تقوم سعاد بشيء من الاعباء التي نكل الابن عن القيام بها وقد اوشكت ان تتخرج من مدرسة الفنون الطرزية .

والام تدور في الشقة بحركة لا تتوقف من كثرة الطلبات كأنها آلة في مصب شلال .

والموظفون في مكتب سعد ينظرون الى ليلى بحساب ويكلمونها بحساب لأن خطيبها جالس بالمرصاد ...

وبقدر ما كانت الصلة تقوى بين سعد وليلى كانت الفجوة تتسع بينه وبين اسرته لأنه لم يعد يعطيها مالا ولا حبا . حتى مضى على ذلك عام كامل وذهب سعد الى بيت ليلى في زيارة عادية على غير ميعاد فلما دخل رأى البيت وكل شيء فيه يضحك . والضيوف امرأة وشاب قادمان من الاسكندرية . ومن النظرة الاولى عرف سعد من تكون هذه المرأة. انها بلا شك خالة ليلى .. صورة مكبرة من امها

والذي يثير الدهشة هو لون العيون والبشرة السمراء فقد كانت مطابقة تماما لوجه ليلى وعينيها اما الشاب فهو ابن خالتها في السابعة والعشرين من العمر وموظف في احد بنوك الاسكندرية وخريج كلية التجارة .

وكان اللقاء عائليا : لكن سعد احس بانه اقلهم شأنا . وكانت العيون الملونة تلتقي بشكل متودد غير عابئة بوجوده . وتطور الامر الى حد ان ليلى وابن خالتها اخذا يتحدثان عن ذكريات قديمة لهم حين كانت ليلى في احدى مدارس اسكندرية الابتدائية وابن خالتها في رأس التين الثانوية. وكان يراجع لها دروسها ويضربها على يديها واحيانا على خدها ..

ـ هل تتذكرين ذلك يا ليلى ؟

ووضعت يدها على خدها وهي تضحك . ووضع سعد يده على خده هو الآخر كأنه احس بلطمة ولم يلبث ان انصرف .

وفي الايام التالية بلغت احزان سعد اشدها فقد علم ان ابن خالتها قد انتقل الى القاهرة.. علم ذلك منها .. وقالته له باهتمام يكاد يبلغ حد الحزن.

لقد بعث الوافد الجديد في نفسها شيئا ينقصها. اقنعها بانه كان ممكنا ان تكون خيرا من ذلك وانه سيعيد الماضي بشكل أروع ويعاونها حتى تنال « شهادة عالية » . فلم تعد ليلى ترى نفسها منذ ذلك اليوم كأنها تنظر الى صورة لها ايام الطفولة.

واحست انها تريد ان تكبر ولن يكون ذلك الا على يدي المربي الجديد . فما كانت تريد شابا ساذجا. وتشربت هذه الخواطر ليلة بعد ليلة فلما اعلنتها لسعد قال لها بلهجة الخائف والمتحكم معا :

ـ لكنني امانع .. انا ارفض ذلك .

فنظرت اليه بشفقة . وعيناها مليئتان بالعطف وعلى شفتها السفلى استصغار شديد .

ـ ترفض !.. وهل هذا من حقك ؟

فتلجلج قائلا :

— انا .. انا .. الذى اسالك هذا السؤال ، ان ذلك يعنى .. اننا لن نتزوج قبل عشر سنوات.

فقالت وهى تنظر بعيدا :

— عدلت عن الزواج بالمعنى الذى فهمناه معـا. لقد فهمت الزواج على صورة جديدة

فاحس ان دموعه ستغلبه . وتذكر يوم بكى من اجلها فشعر انه سيقهر وسيبكى

وعزت عليه نفسه ، احس كانه فتاة مرفوضة. دخلت على العريس وهى تحمل كوب الشربات ليراها كرغبة والديها ثم سلمت عليهم ولم يعد. جرح المراة القديمة يصيب قلب الرجل الجديد ؟! فاحس انه يحارب وهو اعزل وان عليه ان يتسلح للدفاع او الثار.

لكنه تذكر نظرات الزملاء لهما وشعر كان احدا منهم سيحل محله وعند ذلك سالها وهو جاف الريق :

— وماذا سنقول .. لمن معنا .. هنا ؟

فهزت كتفيها بلا مبالاة .. امراة تحولت .. وبرزت على شفتها السفلى اشمئزازة كبيرة ، فقال:

— انا لست فاهما شيئا . فردت بهدوء ثقيل ة

— سانتقل الى البنك ... معه ...

فحملق فيها مشدوها . وفطن الى انه اخطأ فى المفاضلة بينها وبين اشياء كثيرة فى الدنيا لكنه ضل فاختار اقل الاشياء قيمة . هكذا كان احساسه ولو مؤقتا . قال :

— اشكرك .. حل موفق ..

فردت بعطف نسبى يحمل رائحة حب قديم جدا.

— ربما ... ربما يكون فى هذا خير للجميع.

وكانت امه تقشر البطاطس حين فاجأها بقوله انه عدل عن زواج ليلى .. فجرحت السكين يدها مرة اخرى . ولما استردت وعيها عددت له بفرحة ملهوجة : من البنات من يمكن ان تصلح له زوجة لكنه نادى على اخيه الثالث ولم يرد على امه . ولما جاء قال له :

— ستنقل الى التوجيهية هذا العام يا اخى .. وفى العام القادم ستكون فى التوجيهية

— صحيح . وماذا تقصد ؟

— اقصد اننا سنكون معا فيها .. انا وانت . (وربت على كتفه) هل تصدق هذا ؟

فنظر اليه اخوه مذهولا وساله ضاحكا : « ماذا جرى لعقل العريس ؟ ».

لكن (سعد) نظر الى امه وقال :

— ساعاون اخى بمالى وامشى معه خطوة بخطوة وانا فى الوظيفة .. سانتظر زواج اختى .. سافرش حجرة نومك بالسجاد يا ماما .. ساعمل اشياء مستحيلة .

كان يتكلم وهو غضبان كان الكلام موجه الى خصم والجو حوله مشحون بالذهول . واخيرا افاقت الام من حلمها واخذت تتمتم :

يعنى .. يعنى .. آ..

فقال الابن قبل ان ينصرف :

— ساصل انا واخوتى الى منزلة ليلى وزوجهـا وسنكون فى منزلة احسن .. تأكدى.

وعندئذ رفعت الام وجها الى السماء وابتهلت :

— الله يعمر بيتك يا ليلى انت وجوزك .. يا رب وجرت نحو الخارج . كان ابنها يفهم الى اين هى ذاهبة فمنعها. شدها شدا وهى تجرى نحو السلالم لتطلق من قلبها زغرودة حقيقية يلم حولها الجيران.

محمد عبد الحليم عبد الله



العدد ٧٩
الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر